



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عمار ثليجي - الأغواط-

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية والحضارة

قسم: العلوم الإسلامية

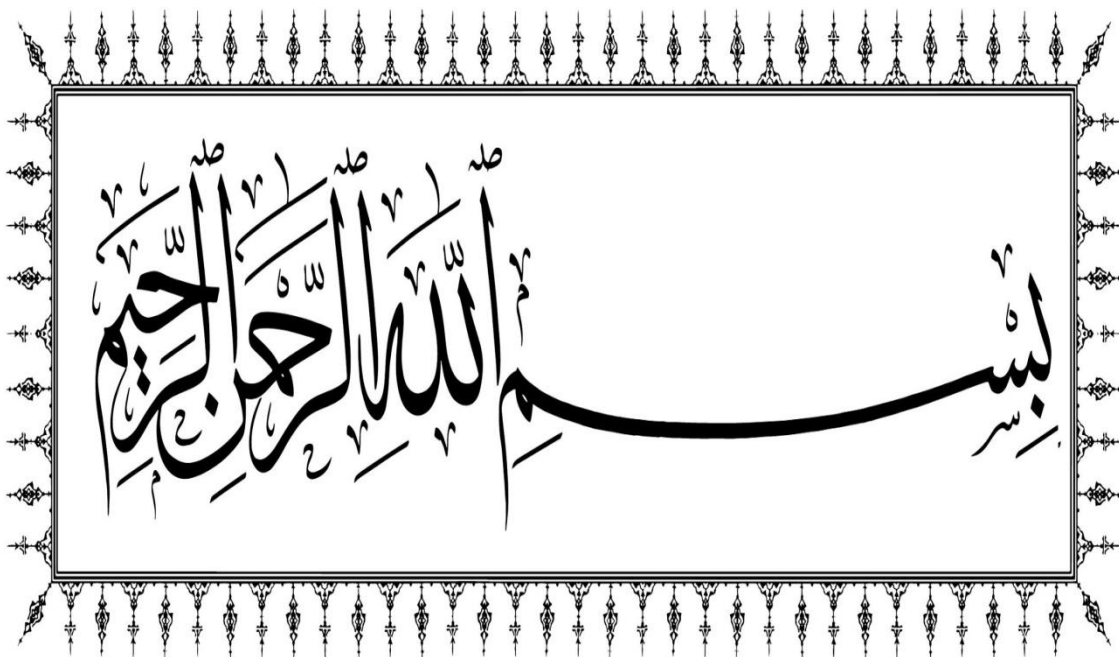


الشعبة: اللغة العربية والحضارة الإسلامية

إعداد الدكتور: محمد عيشوبة

السنة الجامعية 2022/2021م





Bismillah



مقدمة



الحمد لله حمداً يوجب رضاه ونعيمه، والشكر له يوجب سبغ نعمه ومزيده، تفرد بالكمال، وتنعت بالجمال، وأصلي وأسلم على رسولنا الكريم، العارف قدر ربه، والمعرف العباد شرعة مرسله، وعلى صحابته الأبرار، سرج الدجى، ونجوم الهدى، وعلى المفتفين آثارهم بإحسان إلى يوم الدين،  
أمّا بعد:

فإنّ العلوم لها من مزية المكتسب، بشرف المنتسب، وعلوم القرآن حققت هذه الثمرة بتحقيق المقصود من الكتاب، فهما وتدبرا، بعلوم كثيرة، بذلت العلماء الوسع في أفرادها بالتأليف من مرحلة الزهر إلى مرحلة الثمر، من عصر التنزيل إلى يومنا هذا، رواية ودراية، تحريراً وتحقيقاً وتنقيحاً، والناظر في تاريخ العلوم الشرعية يدرك الفرق بين العالم الجمّاعة، والعالم المتخصّص، وواقعنا اليوم في ميدان العلمي الأكاديمي في ميدان العلوم الشرعية يتخصص فيه طالب الشريعة في تخصص معيّن، يدرك به مبادئ الفنّ، ثم يصل إلى مرحلة التعمّق، وحرّيّ بطلاب الدراسات القرآنية أن يقفوا مع مقياس علوم القرآن في هذه المرحلة، وقفة محقّق ومدقّق في علومها المختلفة، فيميّزوا بينها، وذلك بمعرفة مقصود كلّ علم، فيحققوا منه الثمرة، وينظروا في تراث الأمة الإسلامية ويقفوا على المراحل العمرية لعلوم القرآن، وما تميّزت به كلّ مرحلة، كما يجب عليهم أن يكونوا على بصيرة من أمرهم فيما يستجد اليوم من دراسات في حقل الدراسات القرآنية عموماً، من دراسات إسلامية أو حديثة، فيميزوا بين نافعها وضارها، فيحصنوا أنفسهم عمّا هو بعيد عن تراثنا الفكري الصحيح.

**وبهذا انتظمت الإشكالية الرئيسة المعالجة في هذا المقياس كالتالي :**

ما هي أهمّ الثمرات المرجوة من مواضيع علوم القرآن في مرحلة التعمّق؟ ثمّ كيف يوظف الطالب ذلك في جهوده البحثية في الدراسات القرآنية قديماً وحديثاً جمعاً بين الثابت والمتغيّر المستجدّ؟

## ثانيا/ أسباب الاختيار والأهمية.

ولا شك أنّ البحث والتأليف في أيّ موضوع يرجع لأسباب حرّكت العقل والقلم للتحليل فيه، ومقياس علوم القرآن الذي اخترت العمل عليه يرجع لدوافع ذاتية وأخرى علمية من بينها:

### أ/ الدوافع الذاتية

✓ أنّ المقياس هو ضمن تخصصي في الدراسات القرآنية.

✓ أنّ علوم القرآن هي من ضمن أولوياتي في التوسّع البحثي، وهذا يدفع بي إلى توسيع دائرة البحث، وعليه يمكنني تقديم الإضافة الممكنة جمعا بين القدرات البحثية ومستوى الطالب في هذه المرحلة.

### ب/ الدوافع العلمية:

- التعمّق في مواضيع علوم القرآن، تجديدا بماضي الأمة وتراثها الفكري، ونظرا في مستجدات هذه المواضيع من بحث، وإعادة فهم، وإضافات في عصرنا الحاضر من قبل الباحثين.
  - التّظّر في ما تعرض له مواضيع علوم القرآن من نظرات وقراءات حدائثة تحت غطاء التجديد، فنسعى من منطلق الوسطية العلمية، أن نردّ الفرع لأصله، نظرا في الثوابت وأخذنا بالمتغيّرات.
- ثالثا- الأهداف:** الحكم على نجاح أي بحث علمي، يتوقّف على تحقيق أهدافه المقصودة، ولذا مقياس علوم القرآن بمواضيعه المبحوث فيها يهدف إلى تحقيق مايلي:

- الوصول بالطالب إلى مرحلة بحثية في مقياس علوم القرآن تمكّنه من التمييز بين العلوم المختلفة التي تخدم القرآن الكريم، وكيفية توظيفها في ميدان الدّراسات القرآنية، من باب تكامل العلوم الشرعية.
- تمكين الطالب من استخدام منهجية سليمة في البحث في هذا المقياس تجمع بين جهود السابقين، والمؤلّفات الحديثة، من التّأصيل إلى التفرّيع.

- جمع الطالب بين منهجين، بين منهج التحصيل والتحصين، تحصيل علمي معمق في المقياس في هذه المرحلة، وتحصين فكري منهجي حول ما يحدث من تيارات حديثة تحاول النزاع بالعلوم الشرعية عن مقصودها بدعاوى مختلفة باطلة.

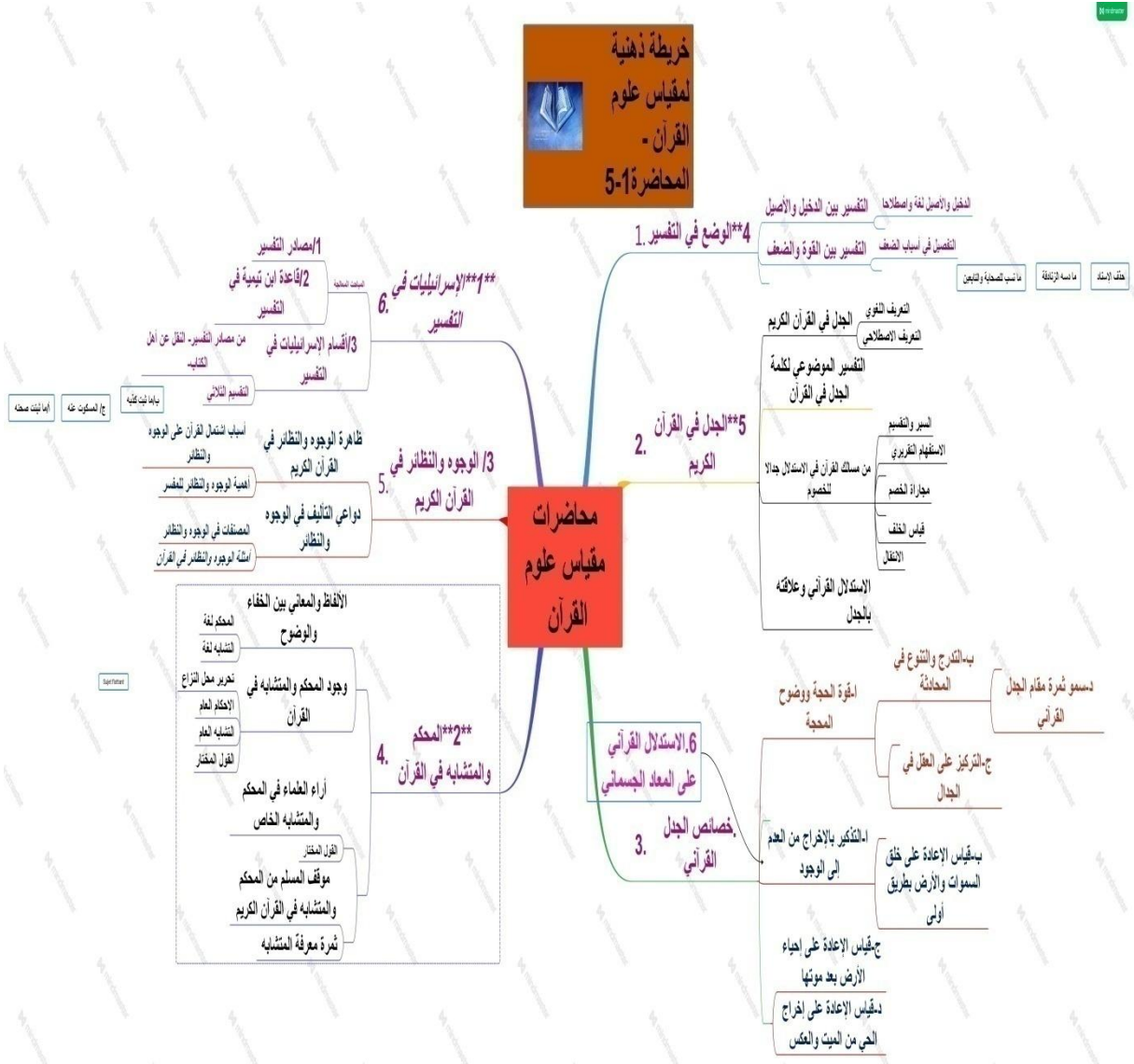
#### رابعاً: المنهج المتبع:

اقتضت طبيعة المواضيع المختلفة المبحوث فيها في هذه المرحلة العلمية، وبحسب الأهداف التي نسعى لتحقيقها، توظيف عدّة مناهج بحثية، تنوّعت بين مناهج معتمدة رئيسة وأخرى فرعية أهمّها: منهج التحليل والاستنباط، مستعينا بمنهج الاستقراء في كلّ المواضيع، إذ مواضيع مقياس علوم القرآن تجعل الباحث يستقرئ مجموعة من الكتب في التخصص قديماً وحديثاً، فيجمع أهم الآراء العلمية المختلفة، وينظر فيها بمنهج التحليل، ليصل إلى مرحلة تقصيد الأقوال، وبناء الأحكام، وهو ما يسمى بمنهج الاستنباط، لتقدّم المادّة العلمية محرّرة منقّحة، تقرب المقصود للطالب.

وكانت المنهجية المتبعة في هذا المقياس، اعتماداً على طريقة التدرّج في الطرح والشرح، ليتمكّن الطالب من فهم واستيعاب المواضيع المبحوث فيها، مرتكزاً على طريقة البناء المعرفي بنفسه، ينتقل فيها من العام للخاص، ومن التحليل إلى التركيب، والعكس، ليسهل عليه فيما بعد التعامل مع مختلف المواضيع المقدمة للبحث فيها في هذا المقياس.

ونسأل الله تعالى أن يرزقنا الإخلاص في العمل، وهذا عمل يعتريه ما يعتري البشر، وأعتذر إلى قارئه بما اعتذر به عبد الرحيم البيساني، إلى العماد الأصفهاني عن كلام استدركه عليه: " وذلك أنّي رأيت أنّه لا يكتب إنسان كتابه في يومه، إلّا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد لكان يستحسن، ولو قدّم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جلة البشر (الحاجي خليفة- كشف الظنون-ج1-ص:14)

# خريطة مفاهيمية



## البرنامج المفصل لمادة علوم القرآن

### البرنامج المفصل لمادة علوم القرآن



السادسي: الخامس

وحدة التعليم : الأساسية

المادة : علوم القرآن

الرصيد: 04

المعامل: 02

أهداف التعليم تعميق - تمكين الطالب من الاطلاع على أهم العلوم الأساسية المتعلقة بالقرآن الكريم وعلومه .  
المعارف المسبقة المطلوبة المعارف التي تتعلق بالقرآن الكريم كأسباب النزول ، والإعجاز والتفسير ، المكي والمدني ،  
الناسخ والمنسوخ ومعرفة كتب التفسير وكيفية استخدامها .

محتوى المادة:

- 01 - الإسرائيليات في التفسير .
- 02 - محكم القرآن و متشابهه .
- 03 - ترجمة القرآن الكريم و حكمه .
- 04 - علم الوجوه و النظائر في القرآن الكريم .
- 05 - القصة في القرآن الكريم .
- 06 - شكل المصحف و اعجابه و رسمه .
- 07 - قواعد الترجيح عند المفسرين .
- 08 - الوضع في التفسير .
- 09 - طبقات المفسرين .
- 10 - الأمثال في القرآن الكريم .
- 11 - الجدل في القرآن الكريم .
- 12 - القسم في القرآن الكريم .
- 13 - علم غريب القرآن الكريم .
- 14 - الأسماء و الكنى و الألقاب في القرآن الكريم .

طريقة التقييم: مراقبة مستمرة 50 % + الامتحان 50 %

المراجع: ( كتب و مطبوعات ، مواقع انترنت ، إلخ )

- 01 - البرهان في علوم القرآن، للزركشي.
- 02 - الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي.
- 03 - مناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقاني.
- 04 - مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان.
- 05 - مباحث في علوم القرآن، لصبحي الصالح.
- 06 - لمحات في علوم القرآن، لمحمد الصباغ.
- 07 - علوم القرآن، لعدنان زرزور.
- 08 - الوجيز في علوم القرآن، لمنصور كافي.



## المحاضرة الأولى: الإسرائيليات في التفسير-

تعددت المصنّفات في التفسير بين القديم والحديث، والغرض منها، هو إبراز معاني كتاب الله تعالى والوصول إلى مراده من خلقه، ولذا نحا المفسرون مناحي شتى من خلال هذه المصنّفات، فبرزت اتجاهات في التفسير بحسب ما أبدع فيه صاحبه، وهو السبب الداعي إلى تصنيف المتأخرين لكتب التفسير ومناهج المفسرين وفق اتجاهات المفسرين، سواء أصرّحوا بذلك في مقدّمات تفاسيرهم أم لم يصرّحوا ، فكان الأمر بالتبع في ثنايا هذه التفاسير.

والمتأمل لكتب التفسير يدرك الأصول والقواعد التي بنى عليها المفسرون تفسيرهم لكتاب الله، والمصادر التي استقوا منها، تأصيلاً، وتفريعاً، ومن هذه المصادر التي اضطرت فيها الأقوال، الإسرائيليات، أي: الأخذ عن بني إسرائيل في بيان معنى الآيات، أو التعضيد بها، فتجد المفسرين منهم المقلّ ، ومنهم المكثّر، ومنهم المعرض، وهذا راجع إلى أحاديث وردت عن رسول الله، تعتبر القول الفصل في المسألة، ولكن يبقى التوسّع في فهم مراد رسول الله من هذه الأحاديث هو مكنم الاختلاف بينهم. وعليه سنناقش في هذه المحاضرة الإشكالات التالية: ما أحوال النقل عن بني إسرائيل؟ وما هي الأسباب الداعية لذلك، ثم ما أثر ذلك على المفسر وتفسيره؟.

### 1/ مصادر التفسير:

تختلف مصادر التفسير بعد كلّ مرحلة تفسيرية، فالمصادر في عصر الرسول صلّى وسلم عليه منحصرة في كتاب الله وسنته صلّى وسلم عليه، باعتباره المبيّن لمراد الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>1</sup>، وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ

<sup>1</sup> سورة النحل 44

<sup>1</sup> سورة النحل 89

<sup>2</sup> الشاطبي إبراهيم بن موسى - الموافقات - تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان - دار ابن عفان - ط1-1417هـ-6

## محاضرات في علوم القرآن الكريم

تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ<sup>1</sup>، والقرآن الكريم كما هو معلوم شامل لأحوال الدنيا والآخرة، ويبقى واجب البيان

لرسول الله صلى وسلم عليه، بما يقتضيه الحال والمقام الحامل على البيان.

وتزداد مصادر التفسير في عصر الصحابة، وهكذا في عهد التابعين إلى يومنا هذا يستند عليها المفسر، ليظهر التفسير في ثوب جديد يتوافق مع عصر المكلف، ووفق حاجيات الواقع، ليبقى القرآن الكريم دالاً على صدق إعجازه على مرّ العصور، وإن تعددت ألوانه.

### 2/ قاعدة ابن تيمية في التفسير:

وقرّر ابن تيمية قاعدة جليلة في مصادر التفسير، تبقى ضابطة للنّاظر في كتاب الله تعالى، والمتدبّر لآياته، لئلا يزيغ بالتفسير أهل الأهواء، سواء أفسدوا ذلك بسوء نيّة، أم كانت جرأة وتعدّد على تفسير كتاب الله من غير توقّر شروط التفسير، وهذا خطير لأنّ القائل في كتاب الله، هو تقول على الله كما يذكر الشاطبي - رحمه الله - : " وَمِنْهَا: أَنْ يَكُونَ عَلَى بَالٍ مِنَ النَّاطِرِ وَالْمُفَسِّرِ وَالْمُتَكَلِّمِ عَلَيْهِ أَنْ مَا يَقُولُهُ تَقْصِيدٌ مِنْهُ لِلْمُتَكَلِّمِ، وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ؛ فَهُوَ يَقُولُ بِلِسَانِ بِيَانِهِ: هَذَا مَرَادُ اللَّهِ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ؛ فَلْيَسْتَبْتْ أَنْ يَسْأَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى: مِنْ أَيْنَ قُلْتَ عَنِّي هَذَا؟ فَلَا يَصِحُّ لَهُ ذَلِكَ إِلَّا بَيَانِ الشَّوَاهِدِ، وَإِلَّا؛ فَمَجْرَدُ الْإِحْتِمَالِ يَكْفِي بِأَنْ يَقُولَ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى كَذَا وَكَذَا، بِنَاءٍ أَيْضًا عَلَى صِحَّةِ تِلْكَ الْإِحْتِمَالَاتِ فِي صُلْبِ الْعِلْمِ، وَإِلَّا؛ فَالْإِحْتِمَالَاتُ الَّتِي لَا تَرْجِعُ إِلَى أَصْلِ غَيْرٍ مُعْتَبَرَةٍ؛ فَعَلَى كُلِّ تَقْدِيرٍ لَا بُدَّ فِي كُلِّ قَوْلٍ يَجْزِمُ بِهِ أَوْ يُحْمَلُ مِنْ شَاهِدٍ يَشْهَدُ لِأَصْلِهِ، وَإِلَّا كَانَ بَاطِلًا، وَدَخَلَ صَاحِبُهُ تَحْتَ أَهْلِ الرَّأْيِ الْمَذْمُومِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ"<sup>2</sup>.

**والقاعدة التي ذكرها ابن تيمية ، وهي أنّ :** " الاختلاف في التفسير على نوعين: منه ما مستنده النقل فقط، ومنه ما يعلم بغير ذلك ، إذ العلم إمّا نقل مصدق وإمّا استدلال محقق، والمنقول إمّا عن المعصوم وإمّا عن غير المعصوم، والمقصود بأنّ جنس المنقول سواء كان عن المعصوم أو غير المعصوم، وهذا هو النوع الأول منه ما يمكن معرفة الصحيح منه والضعيف، ومنه ما لا يمكن معرفة ذلك فيه.

<sup>1</sup> سورة النحل 89

<sup>2</sup> الشاطبي إبراهيم بن موسى -الموافقات- تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان- دار ابن عفان- ط1-1417هـ-

1997م-ج4-ص-284-285

## محاضرات في علوم القرآن الكريم

وهذا القسم الثاني من المنقول؛ وهو ما لا طريق لنا إلى الجزم بالصدق منه عامته مما لا فائدة فيه، فالكلام فيه من فضول الكلام. وأما ما يحتاج المسلمون إلى معرفته، فإن الله نصب على الحق فيه دليلاً، فمثال ما لا يفيد ولا دليل على الصحيح منه: اختلافهم في لون كلب أصحاب الكهف، وفي البعض الذي ضرب به موسى من البقرة...<sup>1</sup>.

### 3/ أقسام الإسرائيليات في التفسير:

العمدة في تقسيم الإسرائيليات، والأخذ بها في التفسير من عدمه، مرجعه إلى الحديثين الواردين عن رسول الله صلى وسلم عليه، فقد روى البخاري حديثاً من طريق أبي هريرة رضي الله عنه قال: "عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا: {آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ} [البقرة: 136] الْآيَةَ »"<sup>2</sup>.

وفي الحديث الثاني، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَّبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»<sup>3</sup> والذي يظهر أنّ الحديثين متعارضين، ولكن سياق الحديث وموضع وروده هو الفيصل في الأمر، فالحديث الأول أورده البخاري في باب الشهادات، والثاني في النقل عن بني إسرائيل وما ذكر عنهم، ولذا ذكر ابن حجر في شرحه على البخاري للحديث الثاني، فقال: "قَوْلُهُ وَحَدِّثُوا عَن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ أَي: لَا ضَيْقَ عَلَيْكُمْ فِي الْحَدِيثِ عَنْهُمْ؛ لِأَنَّهُ كَانَ تَقَدَّمَ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الزَّجْرُ عَنِ الْأَخْذِ عَنْهُمْ وَالنَّظَرِ فِي كُتُبِهِمْ، ثُمَّ حَصَلَ التَّوَسُّعُ فِي ذَلِكَ، وَكَأَنَّ التَّهْيِئَةَ وَقَعَ قَبْلَ اسْتِقْرَارِ الْأَحْكَامِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْفَوَاعِدِ الدِّينِيَّةِ خَشِيَةَ الْفِتْنَةِ، ثُمَّ لَمَّا زَالَ الْمَحْذُورُ وَقَعَ الْإِدْنُ فِي ذَلِكَ لِمَا فِي سَمَاعِ الْأَخْبَارِ الَّتِي كَانَتْ فِي زَمَانِهِمْ مِنَ الْإِعْتِبَارِ، وَقِيلَ مَعْنَى قَوْلِهِ: "لَا حَرَجَ"، لَا تَضْيِقُ صُدُورَكُمْ بِمَا

<sup>1</sup> عبد الحليم ابن تيمية- مقدمة في أصول التفسير- دار مكتبة الحياة- بيروت- لبنان- ط-1490هـ-1980م- ج1- ص:

<sup>2</sup> البخاري محمد ابن إسماعيل- صحيح البخاري- تح: محمد زهير بن ناصر الناصر- دار طوق النجاة- ط-1422هـ- كتاب الشهادات- باب: لا يسأل أهل الشرك عن الشهادة وغيرها- ج3- ص: 181- رقم: 2685

<sup>3</sup> البخاري- الصحيح- كتاب أحاديث الأنبياء- باب ما ذكر عن بني إسرائيل- ج4- ص: 170- رقم: 3461

## محاضرات في علوم القرآن الكريم

تَمَعُونَهُ عَنْهُمْ مِنَ الْأَعَاجِبِ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ وَقَعَ لَهُمْ كَثِيرًا ، وَقِيلَ لَا حَرَجَ فِي أَنْ لَا تُحَدِّثُوا عَنْهُمْ ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ أَوَّلًا " حَدِّثُوا " صِيعَةً أَمْرٍ تَمْتَضِي الْوُجُوبَ ؛ فَأَشَارَ إِلَى عَدَمِ الْوُجُوبِ وَأَنَّ الْأَمْرَ فِيهِ لِلِإِبَاحَةِ بِقَوْلِهِ وَلَا " حَرَجَ " أَي: فِي تَرْكِ التَّحْدِيثِ عَنْهُمْ ، وَقِيلَ الْمُرَادُ رَفْعُ الْحَرَجِ عَنْ حَاكِي ذَلِكَ لِمَا فِي أَخْبَارِهِمْ مِنْ الْأَلْفَاظِ الشَّنِيعَةِ نَحْوَ قَوْلِهِمْ : ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا ﴾ ، وَقَوْلُهُمْ : ﴿ اجْعَلْ لَنَا إِهْلًا ﴾ ، وَقِيلَ الْمُرَادُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَوْلَادُ إِسْرَائِيلَ نَفْسِهِ وَهُمْ أَوْلَادُ يَعْقُوبَ وَالْمُرَادُ حَدِّثُوا عَنْهُمْ بِقِصَّتِهِمْ مَعَ أَحِبِّهِمْ يُوسُفَ وَهَذَا أَبْعَدُ الْأَوْجُهِ ، وَقَالَ مَالِكُ الْمُرَادُ جَوَازُ التَّحْدِيثِ عَنْهُمْ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرٍ حَسَنٍ أَمَّا مَا عَلِمَ كَذِبُهُ فَلَا ، وَقِيلَ الْمَعْنَى حَدِّثُوا عَنْهُمْ بِمِثْلِ مَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ الصَّحِيحِ ، وَقِيلَ الْمُرَادُ جَوَازُ التَّحْدِيثِ عَنْهُمْ بِأَيِّ صُورَةٍ وَقَعَتْ مِنْ انْقِطَاعٍ أَوْ بَلَغٍ لِتَعَدُّرِ الْإِتِّصَالِ فِي التَّحْدِيثِ عَنْهُمْ بِخِلَافِ الْأَحْكَامِ الْإِسْلَامِيَّةِ ؛ فَإِنَّ الْأَصْلَ فِي التَّحْدِيثِ بِهَا الْإِتِّصَالُ وَلَا يَتَعَدَّرُ ذَلِكَ لِثَرَبِ الْعَهْدِ ، وَقَالَ الشَّافِعِيُّ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُجِيزُ التَّحْدِيثَ بِالْكَذِبِ فَالْمَعْنَى حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا لَا تَعْلَمُونَ كَذِبَهُ وَأَمَّا مَا بُحُورُونَهُ فَلَا حَرَجَ عَلَيْكُمْ فِي التَّحْدِيثِ بِهِ عَنْهُمْ ، وَهُوَ نَظِيرُ قَوْلِهِ إِذَا حَدَّثَكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ ؛ فَلَا تُصَدِّقُوهُمْ وَلَا تُكذِّبُوهُمْ ، وَلَمْ يَرِدِ الْإِذْنُ وَلَا الْمَنْعُ مِنَ التَّحْدِيثِ بِمَا يُقْطَعُ بِصِدْقِهِ<sup>1</sup> .

وهذا جماع الأقوال في الحديث، وبيان محامل الأوجه المتعددة له، ويظهر أثر هذا من خلال

التقسيم الآتي:

### أ/ من مصادر التفسير في عهد الصحابة أهل الكتاب من اليهود والنصارى<sup>2</sup>

وهنا نبين كيف تعامل الصحابة، ولا سيما من اشتهر منهم بالتفسير مع أخبار أهل الكتاب،

وهل نعدّها من مصادر التفسير عندهم أو عند بعضهم؟

أهل الكتاب لم يكونوا على درجة واحدة من العلم بكتبهم، فمنهم الأخبار ومنهم دون ذلك،

ومنهم من تداركته رحمة الله فدخل في أمة محمد صلى وسلم عليه، ومنهم من بقي عاكفا على دينه،

<sup>1</sup> ابن حجر العسقلاني- فتح الباري شرح صحيح البخاري- رقم كتبه وأبوابه: محمد فؤاد عبد الباقي- قام بإخراجه وصححه:

محب الدين الخطيب- عليه تعليقات ابن باز- دار المعرفة - بيروت- 1379هـ- ج6- ص:498-499 .

<sup>2</sup> محمد حسين الذهبي- التفسير والمفسرون- مكتبة وهبة- القاهرة- دط- دت- ج1- ص:47

## محاضرات في علوم القرآن الكريم

ونودّ أن نشير هنا إلى أنّ الأخذ عنهم لم يكن في جميع التفسير، وإنّما اقتصر الصحابة على جوانب منه، كالقصص وأخبار الغيب وغيرها.

ذكر الذهبي أنّ القرآن يتوافق مع التوراة والإنجيل في أشياء<sup>1</sup>، وهذا حقّ لا مرية فيه، مادام أنّ الكتابين من عند الله، ويعني بها المسائل التي لم يدخلها التبديل والتحريف، ولكن قال: بأنّ القرآن سلك منهجا مخالفا في سرد القصص مثلا، ولعلّ هذا ما دفع ببعض الصحابة إلى أن تتشوّق نفوسهم لإدراك التفاصيل<sup>2</sup>.

ولكن الأهمّ أنّ الذهبي ذكر شيئا مهمّا، وهو المقدار الذي أخذه بعض الصحابة من مسلمي أهل الكتاب، ككعب الأحبار، وعبد الله بن سلام، فقال: "غير أنّ رجوع بعض الصحابة إلى أهل الكتاب، لم يكن له من الأهمية في التفسير ما للمصادر الثلاثة السابقة، إنّما كان مصدرا ضيقا محدودا، وذلك أنّ التوراة والإنجيل وقع فيهما الكثير من التحريف والتبديل، وكان طبيعيا أن يحافظ الصحابة على عقيدتهم، ويصونوا القرآن عن أن يخضع في فهم معانيه لشيء ممّا جاء ذكره في هذه الكتب....، فكانوا لا يأخذون عن أهل الكتاب إلّا ما يتفق وعقيدتهم، ولا يتعارض مع القرآن، أمّا ما اتضح لهم كذبه ممّا يعارض القرآن ويتنافى مع العقيدة، فكانوا يرفضونه ولا يصدقونه، ووراء هذا وذاك ما هو مسكوت عنه، لا هو من قبيل الأول، ولا من قبيل الثاني، وهذا النوع كانوا يسمعون من أهل الكتاب ويتوقّفون فيه، فلا يحكمون عليه بالصدق ولا الكذب"<sup>3</sup>.

وهذا ما فهموه من حديث رسول الله السابق، فهم أولى الناس بالفهم والعلم، والخيرية فيهم، فهذه قاعدة قعدوها لمن يأتون بعدهم.

<sup>1</sup> المرجع السابق - ص: 47

<sup>2</sup> محمد حسين الذهبي - التفسير والمفسرون - ص: 47

<sup>3</sup> المرجع نفسه - ص: 47-48

## محاضرات في علوم القرآن الكريم

ومما قدمنا يتضح أن أقسام الإسرائيليات على ثلاثة أقسام:

✓ أ/ ما ثبتت صحته : وتعلم صحته بالكتاب والسنة، فهو يتوافق معهما، فلا تعارض، وهذا يجوز الأخذ به ، وحكايته والاستشهاد به، : " القرآن هو: الكتاب المهيمن، والشاهد على الكتب السماوية قبله، فما وافقه فهو: حق وصدق، وما خالفه فهو: باطل وكذب، قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُيَمِّنًا عَلَيْهِ ﴾<sup>1</sup>، فالهيمنة تقتضي الغيبة عما سواه، ولكن من أخذ به، فهو على أصل جوازه ولا حرج.

✓ ب/ ما ثبت كذبه:

وهذا القسم لا يجوز الأخذ به، ولا حكايته، إذ هو كذب على الله ورسوله، وصاحبه متوعد بقوله صلى وسلم عليه: « وَمَنْ كَذَّبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَّبِعْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ »<sup>3</sup>، وذلك مثل: ما ذكره في قصص الأنبياء من أخبار تطعن في عصمة الأنبياء عليه م الصلاة والسلام، كقصة يوسف، وداود، وسليمان... وفي هذا القسم: ورد النهي عن النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة عن روايته، والزجر عن أخذه عنهم، وسؤالهم عنه، قال الإمام مالك رحمه الله في حديث: « وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ »: " المراد جواز التحدث عنهم بما كان من أمر حسن، أما ما عُلم كذبه فلا"<sup>4</sup>

✓ ج/ المسكوت عنه:

وهذا القسم استوى طرفاه، فلا نصدقه ولا نكذبه، ولكنه محمول على الإباحة، والأولى بالمؤمن أن يسكت عنه، فالمسكوت خير من الخوض فيه، درءا لشبهة فسادهم، " ولعل هذا القسم هو المراد بما رواه أبو هريرة، قال: "كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل

<sup>1</sup> سورة المائدة 48

<sup>2</sup> أبو شهبة- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير- مكتبة السنة- ط4-دت- ج1- ص: 106

<sup>3</sup> الحديث سبق تخريجه ص: 08

<sup>4</sup> أبو شهبة- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير - ج1- ص: 107

الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تصدقوا أهل الكتاب، ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا بالله، وما أنزل إلينا، وما أنزل إليكم<sup>1</sup>

" هَذَا النَّهْيُ إِيمًا هُوَ فِي سُؤْلِهِمْ عَمَّا لَا نَصَّ فِيهِ ؛ لِأَنَّ شَرْعَنَا مُكْتَفٍ بِنَفْسِهِ ، فَإِذَا لَمْ يُوجَدْ فِيهِ نَصٌّ فَفِي النَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ غَيٌّ عَنِ سُؤْلِهِمْ ، وَلَا يَدْخُلُ فِي النَّهْيِ سُؤْلُهُمْ عَنِ الْأَخْبَارِ الْمُصَدَّقَةِ لِشَرْعِنَا ، وَالْأَخْبَارِ عَنِ الْأُمَّمِ السَّالِفَةِ ، وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَسَلِّ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾<sup>2</sup> ، فَالْمُرَادُ بِهِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ ، وَالنَّهْيُ إِيمًا هُوَ عَنِ سُؤْلِ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ مِنْهُمْ<sup>3</sup> .

<sup>1</sup> المرجع السابق - ج1 - ص: 107

<sup>2</sup> سورة يونس 94

<sup>3</sup> ابن حجر - فتح الباري - ج13 - ص: 334



## المحاضرة الثانية: المحكم والمتشابه في القرآن الكريم

يُعدّ موضوع المحكم والمتشابه من مواضيع علوم القرآن التي شدّت عقول العلماء، وسالت أفلامهم فيه بيان وجوه إعجاز القرآن الكريم، والتأصيل لأصول التفسير وقواعده، وعليه سنبيّن معنى الإحكام والتشابه، وثمرة الخلاف فيه، وتخريف محلّ النزاع، تأصيلاً وتفصيلاً لمسائل بحثية تقرّب أقوال العلماء، وتجمع بين المذاهب ومدارس التفسير.

### 1/ الألفاظ والمعاني بين الخفاء والوضوح

تختلف قوى البشر ومداركهم العقلية كما تختلف قواهم ومداركهم الجسمية، فهناك من الأعمال ما يستطيع أن يفعله كلّ البشر، ومنها ما لا يستطيع فعله إلاّ الأقوياء منهم، ومنهم ما لا يستطيع أحد من البشر فعله، وكذا في المدارك العقلية هناك من المعاني ما يفهمه كلّ البشر، ومنها ما لا يفهمه إلاّ العلماء، ومنها ما لا يدرك المراد به أحد من البشر ولا يعلمه إلاّ الله.

ومن معاني القرآن الكريم ما هو ظاهر الدلالة، واضح المعنى، ومنه ما خفيت دلالته، وغمض معناه، وتدبر العلماء في معاني الآيات القرآنية ودرسوا هذين النوعين في باب المحكم والمتشابه.<sup>1</sup>

### أ/ المحكم لغة:

جاء في لسان العرب أنّ مادة [ح ك م] لها معانٍ كثيرة تستعمل بحسب السياق، ومنها: "الذكر الحكيم، أي الحاكم لكم وعليكم، وهو فاعل بمعنى مفعّل، أحكم بمعنى محكم، وَالْعَرَبُ تَقُولُ: حَكَمْتُ وَأَحَكَمْتُ وَحَكَمْتُ بِمَعْنَى مَنَعْتُ وَرَدَدْتُ،... وَأَحَكَمَ الْأَمْرَ: أَتَقَنَّهُ، وَأَحَكَمَ الْأَمْرَ: أَتَقَنَّهُ"<sup>2</sup>.

قال محمد الطاهر بن عاشور: "الإحكام: إِتْقَانُ الصُّنْعِ، مُشْتَقٌّ مِنَ الْحِكْمَةِ بِكَسْرِ الْحَاءِ وَسُكُونِ الْكَافِ. وَهِيَ إِتْقَانُ الْأَشْيَاءِ بِحَيْثُ تَكُونُ سَالِمَةً مِنَ الْأَخْلَالِ الَّتِي تَعْرِضُ لِنَوْعِهَا"<sup>3</sup>

<sup>1</sup> فهد الرومي - دراسات في علوم القرآن الكريم - ط2 - 12 - 1424هـ - 2003م - ص: 390

<sup>2</sup> ابن منظور الأنصاري - لسان العرب - دار صادر - بيروت - لبنان - ط3 - 1414هـ - ج12 - ص: 143

<sup>3</sup> الطاهر بن عاشور - التحرير والتنوير - الدار التونسية للنشر - تونس - 1984م - ج11 - ص: 314

: الشَّبَهُ والشَّبَهُ والشَّبِيهُ: المِثْلُ، وَالْجَمْعُ أَشْبَاهٌ. وَأَشْبَهَ الشَّيْءُ الشَّيْءَ: مَثَلَهُ<sup>1</sup>

## 2/ وجود المحكم والمتشابه في القرآن الكريم:

✓ أ/ تحرير محلّ النزاع:

اختلفت العلماء في وجود المحكم والمتشابه في القرآن الكريم بين مثبت ونافي، وهذه المسألة جرى فيها الخلف، وتولدت عنها الأحكام منذ عصر التنزيل، فالمدقق في أقوال الصحابة يدرك هذا الخلاف، ومرّد النزاع إلى القرآن الكريم، حيث ورد المصطلحان في سور متفرقة يفيدان بسياقهما معاني مختلفة، أو متعارضة.

قال تعالى: ﴿الرَّكِبُ أَحْكَمُ أَيْتُهُ، ثُمَّ فَصَّلَتْ الرَّكِبُ أَحْكَمُ أَيْتُهُ﴾<sup>2</sup>، والآية الثانية قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾<sup>3</sup>.

والآية الجامعة والتي عليها مدار الخلاف، هي قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ، وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> المصدر السابق-ج-13- ص:505

<sup>2</sup> سورة هود 01

<sup>3</sup> سورة الزمر 23

<sup>4</sup> سورة آل عمران 07

## محاضرات في علوم القرآن الكريم

فالأوصاف الواردة للكتاب - القرآن الكريم - أفادت بمعانيها الاختلاف الحاصل بين العلماء، فكان الخلاف أولاً، هل في القرآن محكم ومتشابه؟ أو هل القرآن كله محكم، أو كله متشابه؟ أم يقسم القرآن إلى محكم ومتشابه؟.

وفي الحقيقة بعد التأمل والرجوع إلى مذاهب العلماء، نقول أنّ الخلاف راجع لفهم سياق الآيات أولاً، ثمّ كان الخلاف تبعاً لتحديد معنى المحكم والمتشابه حال الافتراق والتقابل بين الكلمتين، وعليه نقسم المحكم إلى قسمين تبعاً لمعنى الكلمتين في سياقها الوارد في الآيات، وليتضح محلّ النزاع ابتداءً.

### 1.1 الإحكام العام:

ففي سورة هود وردت كلمة "المحكم" في قوله تعالى: ﴿الرَّ كِتَبٌ أَحْكَمٌ ءَايَتُهُ﴾، وهذا وصف يشمل الكتاب كله لصيغة العموم الواردة، ومن هذا الجانب فالقرآن من مشكاة واحدة، فكلّ آياته محكمة لدرء شبهة التعارض والتناقض، فيدخل فيه حتى المتشابه، وهذا يسمى الإحكام العام، ومعناه وردت فيه أقوال منها: ما نقله الثعلبي في تفسيره عن ابن عباس أنّ معنى الإحكام والتفصيل الوارد في الآية: "قال ابن عباس: أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ: لم تنسخ بكتاب كما نسخت الكتب والشرائع بها، ثُمَّ فَصَّلَتْ: بيّنت بالأحكام والحلال والحرام، قال الحسن وأبو العالية: فَصَّلَتْ: فسّرت من لدن حَكِيمٍ خَبِيرٍ"<sup>1</sup>، وأورد الزمخشري أنّ معناه: "أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ، نظمت نظماً رصيناً محكماً، لا يقع فيه نقض ولا خلل، كالبناء المحكم المرصف"<sup>2</sup>. وأشار ابن عطية إلى معنى أجمع وأوجز يدلّ دلالة واضحة على المراد السابق، فقال: "أَحْكَمَتْ معناه: أتقنت وأجيدت، شبه تحكّم الأمور المتقنة الكاملة، وبهذه الصفة كان القرآن في الأزل ثمّ فصلّ بتقطيعه، وتنويع أحكامه وأوامره على محمد صلى الله عليه وسلم في أزمنة مختلفة ثمّ على بابها، وهذه طريقة الإحكام والتفصيل إذ الإحكام صفة ذاتية، والتفصيل إنّما

<sup>1</sup> الثعلبي أبو إسحاق - الكشف والبيان عن تفسير القرآن - تح: الإمام أبي محمد بن عاشور - راجعه ودقّقه: نظير الساعدي - دار

إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - ط1-1422هـ-2002م-ج5-ص:156

<sup>2</sup> الزمخشري أبو القاسم - الكشف عن حقائق غوامض التنزيل - دار الكتاب العربي - بيروت - ط3-1407هـ-ج2-ص:377

## محاضرات في علوم القرآن الكريم

هو بحسب من يفصل له، والكتاب بأجمعه محكم مفصل، والإحكام الذي هو ضدّ النسخ والتفصيل الذي هو خلاف الإجمال، إنّما يقالان مع ما ذكرناه باشتراك<sup>1</sup>2.

والذي يظهر لي أنّ وصف الإحكام في معناه العامّ يتناسب مع لفظ الحكمة، ومنها اسم الله الحكيم، ولذا ناسب سياق الآية قوله تعالى: ﴿الرَّكِبُ أَحْكَمُ أَيْتُهُ﴾، فاختيار لفظ الإحكام قبله وصف الحكيم.

### 1.2 التشابه العامّ:

أمّا التشابه في سورة الزمر، وهو وصف عامّ كذلك للكتاب، وهو مقابل للإحكام العامّ من هذا الوجه، فاختلقت فيه الأقوال، فقال الرازي: " وَأَمَّا كَوْنُهُ كُلُّهُ مُتَشَابِهًا كَمَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَعْنَاهُ أَنَّهُ يُشْبِهُ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَأَقُولُ هَذَا التَّشَابُهَ يَخْصُلُ فِي أُمُورٍ أَحَدُهَا: أَنَّ الْكَاتِبَ الْبَلِيغَ إِذَا كَتَبَ كِتَابًا طَوِيلًا، فَإِنَّهُ يَكُونُ بَعْضُ كَلِمَاتِهِ فَصِيحًا، وَيَكُونُ الْبَعْضُ غَيْرَ فَصِيحٍ، وَالْقُرْآنُ يُخَالِفُ ذَلِكَ؛ فَإِنَّهُ فَصِيحٌ كَامِلٌ الْفَصَاحَةَ بِجَمِيعِ أَجْزَائِهِ "3، وقال البيضاوي: " وتشابهه، تشابه أبعاضه في الإعجاز وتجابوب النظم وصحة المعنى والدلالة على المنافع العامة"<sup>4</sup>

وجمع محمد الطاهر بن عاشور بين القولين السابقين وزاد عليها، فقال: " فَمَعَانِيَهُ مُتَشَابِهَةٌ فِي صِحَّتِهَا وَأَحْكَامِهَا وَابْتِنَائِهَا عَلَى الْحَقِّ وَالصِّدْقِ، وَمُصَادَفَةِ الْمَحَزِّ مِنَ الْحُجَّةِ وَتَبَكُّيْتِ الْخُصُومِ، وَكَوْنِهَا صَلَاحًا لِلنَّاسِ وَهُدًى، وَالْفَاطَةُ مُتَمَاثِلَةٌ فِي الشَّرْفِ وَالْفَصَاحَةِ وَالْإِصَابَةِ لِلْأَعْرَاضِ مِنَ الْمَعَانِي بِحَيْثُ تَبْلُغُ الْقَاطَةَ وَمَعَانِيَهُ أَقْصَى مَا تَحْتَمِلُهُ أَشْرَفُ لُغَةٍ لِلْبَشَرِ وَهِيَ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ مُفْرَدَاتٍ وَنَظْمًا، وَبِذَلِكَ كَانَ

<sup>1</sup> ابن عطية عبد الحقّ - المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - تح: عبد السلام عبد الشافي محمد - دار الكتب العلمية -

بيروت - ط1-1422هـ - ج3- ص: 148

<sup>2</sup> ونختار هذا المعنى الذي يتناسب مع الإحكام العامّ، وهذا الذي عليه عليه جلّ المفسرين كالرازي والبيضاوي والطاهر بن عاشور وغيرهم، والذين ألفوا في علوم القرآن، كالسيوطي والزرکشي من المتقدمين والمتأخرين، وهذا لا يعني أنّ بقية الأقوال غير داخله.

<sup>3</sup> الفخر الرزي - مفاتيح الغيب - التفسير الكبير - دار إحياء التراث العربي - بيروت - ط3-1420هـ - ج26- ص: 446

<sup>4</sup> البيضاوي ناصر الدين - أنوار التنزيل وأسرار التأويل - تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي - دار إحياء التراث العربي - بيروت -

ط1-1418هـ - ج5- ص: 41

## محاضرات في علوم القرآن الكريم

مُعْجَزًا لِكُلِّ بَلِغٍ عَن أَن يَأْتِيَ بِمِثْلِهِ، وَفِي هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ جَمِيعَ آيَاتِ الْقُرْآنِ بَالِغُ الطَّرْفِ الْأَعْلَى مِنَ الْبَلَاغَةِ، وَأَنَّهَا مُتَسَاوِيَةٌ فِي ذَلِكَ بِحَسَبِ مَا يَفْتَضِيهِ حَالُ كُلِّ آيَةٍ مِنْهَا"<sup>1</sup>.

### 1.3 التقسيم المختار:

وبعد سوقنا لتفسير الكلمتين الواردتين في سورة "هود والزمر"، وبيان المعاني المحتملة والمعنى المرتضى، نجد أنفسنا أمام سورة "آل عمران"، والتي توضح التقسيم بدلالاتها الواضحة، أما المقصود بالمحكم والمتشابه، فيأتي بيانه فيما بعد، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾<sup>2</sup>.

ذكر الزركشي أن الأقوال الواردة على ثلاثة أقسام، فقال: " وَقَدْ حَكَى الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبِ النَّيْسَابُورِيِّ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ ثَلَاثَةَ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّ الْقُرْآنَ كُلَّهُ مُحْكَمٌ، لقوله تعالى: { كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ } وَالثَّانِي: كُلُّهُ مُتَشَابِهٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: { :﴿ اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا ﴾، وَالثَّلَاثُ: - وَهُوَ الصَّحِيحُ - أَنَّ مِنْهُ مُحْكَمًا وَمِنْهُ مُتَشَابِهًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾"<sup>3</sup>

فالزركشي رجح القول الثالث، وهو انقسامه إلى محكم ومتشابه، وتبعه في ذلك السيوطي في "الإتقان" في التقسيم والترجيح، فقال بعد ذكره للقولين: " الثَّلَاثُ وَهُوَ الصَّحِيحُ انْتِقَامُهُ إِلَى مُحْكَمٍ وَمُتَشَابِهٍ لِآيَةِ الْمُصَدَّرِ بِهَا"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> الطاهر بن عاشور- التحرير والتنوير- ج23- ص: 386

<sup>2</sup> سورة آل عمران 07

<sup>3</sup> الزركشي بدر الدين- البرهان في علوم القرآن- تج: محمد أبو الفضل إبراهيم- دار إحياء الكتب العربية- عيسى الباي الحلبي وشركائه- ثم صورته دار المعرفة - لبنان- ط1- 1376هـ- 1957م- ج2- ص: 68

<sup>4</sup> السيوطي- الإتقان في علوم القرآن- تج: محمد أبو الفضل إبراهيم- الهيئة المصرية العامة للكتاب- 1394هـ- 1974م- ج3- ص: 03

3/ آراء العلماء في المحكم والمتشابه<sup>1</sup> - الإحكام والتشابه الخاص -

توسّع العلماء في بيان معنى المحكم والمتشابه، فترتّب عن ذلك أقوال كثيرة مرجعها إلى تقابل الكلمتين، وخفاء المعنى ابتداءً، نظراً لورود المصطلحين في القرآن الكريم باستعمالات مختلفة، وفي سياق مختلف، ولذا سنبين جملة الأقوال الواردة في ذلك.

وجماع الأقوال الواردة في المحكم والمتشابه أشارت إليها المؤلفات التي تُعنى بعلوم القرآن عموماً، وقد ذكر ذلك السيوطي في الإتقان فقال: " وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي تَعْيِينِ الْمُحْكَمِ وَالْمُتَشَابِهِ عَلَى أَقْوَالٍ: فَقِيلَ: الْمُحْكَمُ مَا عُرِفَ الْمُرَادُ مِنْهُ إِمَّا بِالظُّهُورِ وَإِمَّا بِالتَّأْوِيلِ وَالْمُتَشَابِهُ مَا اسْتَأْتَرَ اللَّهُ بِعِلْمِهِ<sup>2</sup> ، كَقِيَامِ السَّاعَةِ وَخُرُوجِ الدَّجَالِ وَالْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ فِي أَوَائِلِ السُّورِ . وَقِيلَ: الْمُحْكَمُ مَا وَضَحَ مَعْنَاهُ ، وَالْمُتَشَابِهُ نَقِيضُهُ. وَقِيلَ: الْمُحْكَمُ مَا لَا يَحْتَمِلُ مِنَ التَّأْوِيلِ إِلَّا وَجْهًا وَاحِدًا ، وَالْمُتَشَابِهُ مَا اخْتَمَلَ أَوْجُهًا. وَقِيلَ: الْمُحْكَمُ مَا كَانَ مَعْقُولَ الْمَعْنَى، وَالْمُتَشَابِهُ بِخِلَافِهِ كَأَعْدَادِ الصَّلَوَاتِ وَاخْتِصَاصِ الصِّيَامِ بِرَمَضَانَ ذُونَ شَعْبَانَ قَالَهُ الْمَاوَرِدِيُّ. وَقِيلَ: الْمُحْكَمُ مَا اسْتَقَلَّ بِنَفْسِهِ وَالْمُتَشَابِهُ مَا لَا يَسْتَقِلُّ بِنَفْسِهِ إِلَّا بِرَدِّهِ إِلَى غَيْرِهِ<sup>3</sup>. وَقِيلَ: الْمُحْكَمُ مَا تَأْوِيلُهُ تَنْزِيلُهُ، وَالْمُتَشَابِهُ مَا لَا يَدْرِي إِلَّا بِالتَّأْوِيلِ. وَقِيلَ: الْمُحْكَمُ مَا لَمْ تَتَكَرَّرْ أَلْفَاظُهُ وَمُقَابِلُهُ الْمُتَشَابِهُ. وَقِيلَ: الْمُحْكَمُ الْفَرَائِضُ وَالْوَعْدُ وَالْوَعِيدُ ، وَالْمُتَشَابِهُ الْقِصَصُ وَالْأَمْثَالُ.

أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ طَرِيقِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: الْمُحْكَمَاتُ نَاسِخُهُ وَحَالَتُهُ وَحَرَامُهُ وَحُدُودُهُ وَفَرَائِضُهُ وَمَا يُؤْمَنُ بِهِ وَيُعْمَلُ بِهِ ، وَالْمُتَشَابِهَاتُ مَنْسُوخُهُ وَمُقَدَّمُهُ وَمُؤَخَّرُهُ وَأَمْثَالُهُ وَأَقْسَامُهُ وَمَا يُؤْمَنُ بِهِ وَلَا يُعْمَلُ بِهِ.

وَأَخْرَجَ الْفَرِيَابِيُّ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: الْمُحْكَمَاتُ مَا فِيهِ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ وَمَا سِوَى ذَلِكَ مِنْهُ مُتَشَابِهٌ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> محمد فاروق النبهان- المدخل إلى علوم القرآن الكريم- دار عالم القرآن - حلب- ط1-1426هـ-2005م- ص:178

<sup>2</sup> أشار إلى ذلك القرطبي، ينظر، القرطبي أبو عبد الله- الجامع لأحكام القرآن- تفسير القرطبي- تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش- دار الكتب المصرية- القاهرة- ط2-1384هـ-1964م- ج4- ص:09

<sup>3</sup> ذكر صاحب زاد المسير ثمانية أقوال منها هذا القول، ينظر: محمد جمال الدين الجوزي- زاد المسير في علم التفسير- تح:

عبد الرزاق المهدي- دار الكتاب العربي- بيروت- ط1-1422هـ- ج1- ص:258

<sup>4</sup> السيوطي- الإتقان في علوم القرآن- ج3- ص:04

## محاضرات في علوم القرآن الكريم

والوجوه المذكورة كلها محتملة ما دام لفظ المحكم والمتشابه مجعلا، ولكن يبقى للعلماء ترجيحات بدت لهم من خلال النظر في القرآن الكريم، وكذلك لاعتبارات أخرى لاحتمال دخول شُبهه يعترض بها أصحاب الزيغ، والإمام الجصاص ذكر بعض المعاني الواردة في المحكم والمتشابه التي أوردها أصحابها وردّ عليها، ورجح معنى بدا له من خلال نظره<sup>1</sup>.

### 1.3 القول المختار:

والذي نختاره من الأقوال أنّ المحكم هو ما ظهر معناه واتّضح، أمّا المتشابه، فهو خفي المعنى - الدلالة-، وهو على درجات في الخفاء فمنه الذي يعلمه الراسخون من العلم، ومنه الذي استأثر الله بعلمه، فلا يظهره لأحد من خلقه.

### 4/ موقف المسلم من المحكم والمتشابه في القرآن الكريم<sup>2</sup>

والمسلم يستحضر مقصد الامتثال لله، فما عرفه لنا ووضّحه، فهذا لا إشكال فيه، وما غيبه عنا، وخفيت دلالاته، فقد ارتضى لعلمائه بيانه للناس، ويبقى ما استأثر به تعالى في علم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا، والمؤمن يعلم أنّ الإيمان به واجب، وهذا المقصد من وضع الشريعة كمال قال الشاطبي: "إِخْرَاجُ الْمُكَلَّفِ عَنْ دَاعِيَةِ هَوَاهُ، حَتَّى يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ اخْتِيَارًا، كَمَا هُوَ عَبْدٌ لِلَّهِ اضْطِرَارًا. وَالِدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أُمُورٌ: أَحَدُهَا:

النَّصُّ الصَّرِيحُ الدَّالُّ عَلَى أَنَّ الْعِبَادَ خُلِقُوا لِلتَّعْبُدِ لِلَّهِ، والدخول تحت أمره ونهيّه... الثاني: مَا دَلَّ عَلَى دَمِّ مُخَالَفَةِ هَذَا الْقَصْدِ مِنَ النَّهْيِ أَوَّلًا عَنْ مُخَالَفَةِ أَمْرِ اللَّهِ، وَدَمٌّ مِنْ أَعْرَضَ عَنِ اللَّهِ... وإيعادهم بالعذاب العادل من العُقُوبَاتِ الْخَاصَّةِ بِكُلِّ صِنْفٍ مِنْ أَصْنَافِ الْمُخَالَفَاتِ، وَالْعَذَابِ الْأَجَلِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، وَأَصْلُ ذَلِكَ اتِّبَاعُ الْهَوَى وَالْإِنْقِيَادُ إِلَى طَاعَةِ الْأَعْرَاضِ الْعَاجِلَةِ، وَالشَّهَوَاتِ الرَّائِلَةِ، فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ اتِّبَاعَ الْهَوَى مُضَادًّا لِلْحَقِّ"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> الجصاص أحمد بن علي أحكام القرآن - تح: عبد السلام محمد علي شاهين - دار الكتب العلمية - بيروت - ط1 - 1415هـ - 1994م - ج2 - ص: 05 .

<sup>2</sup> محمد البنا الساعاتي - نظرات في كتاب الله - دار التوزيع والنشر الإسلامية - القاهرة - 1423هـ - 2002م - ج1 - ص: 513

<sup>3</sup> الشاطبي - الموافقات - ج2 - ص: 290

## محاضرات في علوم القرآن الكريم

**فائدتين:** وقصدت بهاتين الفائدتين تجلية غبش الفتنة عن القلوب المريضة عما يعرض لها من الوسوس لضعف الفهم في مسألة وقع المتشابه في القرآن الكريم، منها:

✓ أن هذا القرآن محكمه ومتشابهه من مشكاة واحدة، فأنت متعبّد بهما معاً، ولا يضرك عدم وضوحه، فالتكليف بما لا يستطاع مدفوع ومرفوع في شريعتنا .

✓ يعلم المسلم أن الأغلب الأعمّ الواقع في كتاب الله تعالى هو المحكم لا المتشابه، فيردّ المتشابه إلى المحكم في بعضه لا في كله. قال تعالى: ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾، قال ابن جزي في تفسير أم الكتاب: " أي عمدة ما فيه ومعظمه " <sup>1</sup>، وهو الذي ذكره الثعالبي كذلك: " أي: معظم الكتاب، وعمدة ما فيه: إذ المحكم في آيات الله كثيرٌ قد فصل، ولم يفرط في شيء منه... وأنّ محكمه وبيّنه الذي لا اعتراض فيه هو معظمه، والغالب فيه ، وأنّ متشابهه الذي يحمل التأويل، ويحتاج إلى التفهّم هو أقلّه " <sup>2</sup>.

### 5/ ثمرة معرفة المتشابه:

حوى القرآن الكريم المتشابه الذي اختلفت في معانيه العلماء، وقد يقول قائل لماذا لم يجعل الله القرآن كله محكماً؟، والبحث عن العلية والمقصد فيما يعرض لك في شرع الله بقصد معرفة حكم الشريعة ، هو إثبات لحكمة الله تعالى المتّصف بها، والموصوف بها كتابه، والتفريق بين مقاصد الافتراض، ليس كمقاصد الاعتراض، وهو كقول القائل: لا ينبغي لله أن يفعل كذا وكذا، فهذا جوابه هو قوله تعالى: ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ <sup>3</sup>، ولذا أشار الراغب الأصفهاني إلى بعض الحكم

<sup>1</sup> ابن جزي الغرناطي - التسهيل لعلوم التنزيل - تح: عبد الله الخالدي - شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت - ط1 - 1416هـ - ج1 - ص: 145

<sup>2</sup> الثعالبي عبد الرحمن - الجواهر الحسان في تفسير القرآن - تح: محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود - دار إحياء التراث

العربي - بيروت - ط1 - 1418هـ - ج2 - ص: 11

<sup>3</sup> سورة الأنبياء 23

## محاضرات في علوم القرآن الكريم

من إيراد المتشابه في القرآن نذكرها لتأنيس القلوب منها:

● أن يُبين تشريف العلماء بتميُّزهم عن غيرهم، ومنها: رياضة العقول في تعرفها.

ومنها: استحقاق الثواب بتعب الفكر فيه، ومنها: إظهار شرف الفكر.

ومنها: حث من أخبر الله عنهم أنهم قالوا: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾<sup>1</sup> على أن يتدبره، لأنهم إذا سمعوا ما في ظاهره التناهي تأملوه طلباً لردّه ؛ فيصير ذلك سبباً أن يعرفوه لمعرفة لمعرفتهم بإعجازهم ولزوم الحجة به.

ومنها: أن يصير سبباً لاعتراف الإنسان بعجزه ومعرفة نقصه.

ومنها: أن يصير الناس تبعاً للأنبياء وأولي الأمر الذين حثّ على اتباعهم لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ<sup>ط</sup> وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلَّهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ<sup>ق</sup>﴾<sup>2,3</sup>

وقال الطاهر بن عاشور: " وَسَبَبُ وُقُوعِ الْمُتَشَابِهَاتِ فِي الْقُرْآنِ: هُوَ كَوْنُهُ دَعْوَةً، وَمَوْعِظَةً، وَتَعْلِيمًا، وَتَشْرِيعًا بَاقِيًا، وَمُعْجِزَةً، وَخُوطَبَ بِهِ قَوْمٌ لَمْ يَسْبِقْ لَهُمْ عَهْدٌ بِالتَّعْلِيمِ وَالتَّشْرِيعِ، فَجَاءَ عَلَى أَسْلُوبٍ مُنَاسِبٍ لِمَجْمَعِ هَذِهِ الْأُمُورِ، بِحَسَبِ حَالِ الْمُخَاطَبِينَ الَّذِينَ لَمْ يَعْتَادُوا الْأَسَالِيبَ التَّدْرِيسِيَّةَ، أَوِ الْأَمَالِي الْعِلْمِيَّةَ، وَإِنَّمَا كَانَتْ هَجِيرَاهُمْ الْخُطَابَةَ وَالْمُقَاوَلَةَ"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> سورة فصلت 26

<sup>2</sup> سورة النساء 83

<sup>3</sup> الراغب الأصفهاني- تفسير الراغب الأصفهاني- تح: عادل بن علي الشدي- دار الوطن- الرياض- ط1-1424هـ-  
2003م-ج2- ص: 427-428.

<sup>4</sup> الطاهر بن عاشور- التحرير والتنوير- ج3- ص: 157



## المحاضرة الثالثة: علم الوجوه والنظائر في القرآن الكريم

البحث في القرآن الكريم تولدت عنه مباحث عديدة، ثمّتها هي بيان أصل من أصول الإسلام الكبرى، وهو بيان وجوه الإعجاز التي اشتمل عليها القرآن الكريم، وذلك ببيان محاسنه، وخفياياه، والمهيمن لإبراز هذه الوجوه، جليتها وخفيها، دقها وجلها، هو التفسير، لفظا ومعنى، وذلك لاشتمال التفسير على مجموعة من العلوم سواء أكانت من مادته أم من استمداده، تبرز بمجموعها لطائف الإعجاز. ولذا البحث في علم الوجوه والنظائر هو بحث في وجه من وجوه الإعجاز، إذ هو بحث في أصل من أصول اللغة، وذلك بإدراك أسرار اللسان المنزل به، وهذا منطلق المفسر، وغاية المتدبر.

### 1/ المقصود بالوجوه والنظائر:

ونقصد به علاقة اللفظ بالمعنى، فالاستعمال العربي يتوسّع ويضيق، والوجوه والنظائر من هذا الباب. ووردت مفاهيم متعدّدة في اللفظين تحدّد المعنى حال الإفراد والتقابل بين الكلمتين منها:

"الْوُجُوهُ: اللَّفْظُ الْمُشْتَرِكُ الَّذِي يُسْتَعْمَلُ فِي عِدَّةٍ مَعَانٍ . . وَالنَّظَائِرُ كَالْأَلْفَاظِ الْمُتَوَاطِئَةِ، وَقِيلَ النَّظَائِرُ فِي اللَّفْظِ ، وَالْوُجُوهُ فِي الْمَعَانِي ، وَضَعْفٌ ، لِأَنَّهُ لَوْ أُرِيدَ هَذَا لَكَانَ الْجُمُعُ فِي الْأَلْفَاظِ الْمُشْتَرِكَةِ، وَهُمْ يَذْكُرُونَ فِي تِلْكَ الْكُتُبِ اللَّفْظَ الَّذِي مَعْنَاهُ وَاحِدٌ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ ، فَيَجْعَلُونَ الْوُجُوهَ نَوْعًا لِأَقْسَامِ وَالنَّظَائِرِ نَوْعًا آخَرَ كَالْأَمْثَالِ"<sup>1</sup>.

### 2/ ظاهرة الوجوه والنظائر في القرآن الكريم<sup>2</sup>

فالوجوه في القرآن الكريم هي ألفاظ اشتملت على معانٍ مختلفة، تختلف استعمالاتها حسب سياقاتها الواقعة فيها، والنظائر ما كان على لفظ واحد يصدق على جميع أفرادها على السواء.

<sup>1</sup> الزركشي - البرهان في علوم القرآن - ج1 - ص: 103، والسيوطي - الإتيان في علوم القرآن - ج2 - ص: 145، وابن القاسم

عبد الرحمن التّجدي - حاشية مقدّمة التفسير - ط2 - 1410هـ - 1990م - ص: 116

<sup>2</sup> منهاج جامعة المدينة العالمية - الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم - جامعة المدينة العالمية - دط - دت - ص: 248

## محاضرات في علوم القرآن الكريم

### أ/ أسباب اشتغال القرآن على الوجوه والنظائر:

وقبل أن نشير إلى مواطن وجود الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، وتعليل ذلك وفق السياق، نشير إلى أنّ القرآن عربي اللسان، لم يخرج عن قواعد الكلام العربي حال المخاطبة، إلا ما تفرّد به من أوجه الإعجاز، والوجوه والنظائر كما تقرّر سابقا هو من علم اللغة، أي: شمله اللسان العربي، فالأولى أن نبحث عن علة ذلك في الاستعمال العربي، ثمّ يزيدنا القرآن وضوحا وفائدة.

✓ منها: "اختلاف القبائل العربية في وضع الألفاظ بمعانيها.

✓ ومنها: أنّ اللفظ قد يوضع بمعنى، ثم يستعمل في غيره مجازًا.

✓ \*ومنها: أنّ اللفظ يكون موضوعًا بمعنى مشترك بين المعنيين، والمثال المشهور في كلمة

"القرء": {ثَلَاثَةٌ قُرُوءٍ} (البقرة: 228)، فهل القروء هي طهر أم حيض؟ وهذا اللفظ من

الألفاظ المشتركة، وقضية المشترك اللفظي معروفة بين الأصوليين.

✓ أن يكون اللفظ موضوعًا لمعنى في اللغة، ثم يوضع في الاصطلاح بمعنى آخر"<sup>1</sup>

### ب/ أهمية معرفة الوجوه والنظائر للمفسر:

ولا ريب أنّ المفسر عليه أن يجمع من العلوم ما لم يجمعه غيره، والبداءة بعلم اللغة أولاً، فيسير من بحر ألفاظها ومعانيها وغريبها، ويعلم سنن العرب في كلامها، ولذلك ذكر البيهقي في شعب الإيمان بسنده أنّه سمع أبا القاسم بن حبيب حيث يقول: سمعت أبا عبد الله الميّدانيّ الخطيب، يقول: سمعت أبا قريش الحافظ، يقول: سمعت يحيى بن سليمان بن فضلة، يقول: سمعت مالك بن أنس يقول: "ألا أوتى برجل غير عالم بلغات العرب يفسر ذلك إلا جعلته نكالا"<sup>2</sup>.

ونصر الشاطبي معهود الأميين بغية فهم كلام الله تعالى، وهو أحقّ، فقد سبقه من هو أفضل منه، وهو ترجمان القرآن عبد الله بن عباس، ومسائله مع نافع الأزرق معلومة منقولة<sup>3</sup>، قال الشاطبي في

<sup>1</sup> المرجع السابق - ص: 249

<sup>2</sup> البيهقي أحمد بن الحسين - شعب الإيمان - حققه وراجع نصوصه: عبد العلي عبد الحميد حامد - أشرف على تحقيقه: مختار أحمد الندوي صاحب الدار السلفية بيومباي - الهند - مكتبة الرشد للنشر والتوزيع - الرياض - ط1-1423هـ-2003م - ج3-ص: 543- رقم 2090

<sup>3</sup> من أراد الرجوع والاستزادة، ينظر: عبد الله بن عباس - غريب القرآن في شعر العرب - مسائل نافع ابن الأزرق - دط - دت - .

## محاضرات في علوم القرآن الكريم

موافقاته: " وَمِنْهَا: أَنَّهُ لَا بُدَّ فِي فَهْمِ الشَّرِيعَةِ مِنْ اتِّبَاعِ مَعْهُودِ الْأُمِّيِّينَ، وَهُمْ الْعَرَبُ الَّذِينَ نَزَلَ الْقُرْآنُ بِلِسَانِهِمْ، فَإِنْ كَانَ لِلْعَرَبِ فِي لِسَانِهِمْ عُرْفٌ مُسْتَجِرٌّ، فَلَا يَصِحُّ الْعُدُولُ عَنْهُ فِي فَهْمِ الشَّرِيعَةِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ تَمَّ عُرْفٌ، فَلَا يَصِحُّ أَنْ يُجْرَى فِي فَهْمِهَا عَلَى مَا لَا تَعْرِفُهُ. وَهَذَا جَارٍ فِي الْمَعَانِي وَالْأَلْفَازِ وَالْأَسَالِيبِ"<sup>1</sup>.

فإذا ظاهرة الوجوه والنظائر ناتجة عن تنوع المعاني حول اللفظ الواحد، وهذه الظاهرة من الظواهر التي ينبغي على المفسر أن يعلمها، وأن يعرفها تمام المعرفة قبل الخوض في كلام الله - سبحانه وتعالى - وتفسيره، وقبل أن يتصدى ببيان معاني القرآن، فعليه أن يهتم بهذا العلم الذي صنفت فيه التصانيف، واهتم العلماء ببيانه<sup>2</sup>.

### ج/ العلاقة بين المعاني اللغوية والوجوه والنظائر<sup>3</sup>:

ومن فهم هذه العلاقة انجلي عنه غبش العلاقة بين الدال والمدلول، أي: العلاقة بين اللفظ والمعنى، وعلم أنّ اللسان العربي لا ينضب بحره، ولا يدرى قعره، وفهم أنّ اللفظ حمال أوجه، يختلف باختلاف الوضع، والاستعمال، والسياق، وهذا ما سنقف عليه في القرآن الكريم، وقد أشار إلى ذلك أحد الباحثين مبيناً ركنية السياق بقوله: " فالسياق له دخل كبير في وضوح المعنى، والوجوه لا ينكشف معناها، ولا يتضح مفهومها إلا في ضوء السياق القرآني"<sup>4</sup>.

### ج/ دواعي التأليف في الوجوه والنظائر:

خدمة كتاب الله تعالى اكتنفتها أيدي العلماء من أوجه عديدة، حملهم على ذلك حسن القصد في فهم كتاب الله تعالى، ورغبة في نفع أفراد الأمة، وإفراد علوم بعينها بالتأليف كانت وراء أسباب أخرى، كنفي خبث الشبهات التي تعرض لكتاب الله تعالى، إمّا توضيحاً لما أشكل فهمه، أو دفعا لما قصد به سمّه، والتأليف في الوجوه والنظائر له أسبابه حتى وإن لم يبلغنا نصّ واضح يبيّن علّة ذلك، ولكن نستطيع أن نعرف بعض الأسباب الحاملة على ذلك منها:

<sup>1</sup> الشاطبي - الموافقات - ج2 - ص: 131

<sup>2</sup> مناهج جامعة المدينة العالمية - الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم - ص: 249

<sup>3</sup> عبد العال سالم مكرم - المشترك اللفظي في الحقل القرآني - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط2 - 1417هـ - ص: 44

<sup>4</sup> المرجع نفسه - ص: 44

## محاضرات في علوم القرآن الكريم

- أنّ الوجوه والنظائر من علوم اللغة كما وضحنا، أي : علاقة بين الألفاظ والمعاني، وهذا القرآن أنزل ليفهم عنه، وسبيل ذلك كتب التفسير، فكان لزاما على المفسر أن يوضح العلاقة اللغوية للألفاظ ويربطها بسياقها القرآني.
- "أن الباحث يجد في كتب الوجوه والنظائر جمعا لآيات اتفقت في اشتغالها على لفظ معين، يدلّ في كلّ مجموعة منها على معنى واحد من المعاني التي يتصرّف إليها في النص القرآني"<sup>1</sup>.
- بيان إعجاز القرآن الكريم ؛ فقد جعل بعضهم هذه الوجوه كما ذكر السيوطي من "أنواع معجزات القرآن حيث كانت الكلمة الواحدة تصرّف إلى عشرين وجها وأكثر وأقلّ، ولا يوجد ذلك في كلام البشر"<sup>2</sup>. واستشهد السيوطي بأثر أورده مقاتل بن سليمان في صدر كتابه مرفوعا ثم علّق عليه : "لَا يَكُونُ الرَّجُلُ فَقِيهًا كُلَّ الْفَقْهِ حَتَّى يَرَى لِلْقُرْآنِ وَجُوهًا كَثِيرَةً". قُلْتُ: هَذَا أَخْرَجَهُ ابْنُ سَعْدٍ وَعَیْرُهُ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ مَوْفُوفًا وَلَفْظُهُ: "لَا يَفْقَهُ الرَّجُلُ كُلَّ الْفَقْهِ": وَقَدْ فَسَّرَهُ بَعْضُهُمْ بِأَنَّ الْمُرَادَ أَنْ يَرَى اللَّفْظَ الْوَاحِدَ يَحْتَمِلُ مَعَانِي مُتَعَدِّدَةً ، فَيَحْمِلُهُ عَلَيْهَا إِذَا كَانَتْ غَيْرَ مُتَضَادَّةٍ وَلَا يَفْتَصِّرُ بِهِ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ"<sup>3</sup>. وأثرا آخر عن ابن عساكر في تاريخه، وهو قوله: "وإتاك لن تفقه كلّ الفقه حتى ترى للقرآن وجوها ، قال حماد، فقلت لأيوب أرأيت قوله حتى ترى للقرآن وجوها ، قال: فسكت هنيهة ، قال فقلت: أهو أن ترى له وجوها فتهاب الإقدام عليه، فقال: نعم، هذا هو"<sup>4</sup>
- وقيل مرجع ذلك عموما إلى وجود نهضة تأليفية، وحركة علمية في شتى العلوم الإسلامية، فأراد مؤلفو هذه الكتب أن يسيروا في الطريق الذي سار فيه غيرهم، وأن يدلوا بدلوههم بين الدلاء في حركة التسابق في التأليف والتصنيف<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> يحيى بن سلام الإفريقي - التصاريف لتفسير القرآن مما اشبهت أسماءه وتصرفت معانيه - تح: هند شليبي - الشركة التونسية للتوزيع - 1979م - ص: 25

<sup>2</sup> السيوطي - الإتقان في علوم القرآن - ج2 - ص: 144

<sup>3</sup> المصدر نفسه - ج2 - ص: 144

<sup>4</sup> ابن عساكر أبو القاسم - تاريخ دمشق - تح: عمر بن غرامة العمروي - دار الفكر للطباعة والنشر - 1415هـ - 1995م - ج47 - ص: 173

<sup>5</sup> عبد العال سالم مكرم - المشترك اللفظي في الحقل القرآني - ص: 44

المصنّفات في الوجوه والنظائر كثيرة، وهذه المصنّفات تشترك في نفس المعنى حتى وإن اختلفت وجوه التسمية، فمنها ما كانت التسمية مطابقة، ومنها ما كانت في المشترك اللفظي، وحمل اسمها غير هذا التعبير. ومنهم من حاز قصب السبق في التأليف، وتبعه بعد ذلك من أتى بعده.

يقول ابن الجوزي: "وبعد لما نظرت في كتب الوجوه والنظائر التي ألفها أرباب الإشتغال بعلوم القرآن، رأيت كل متأخر عن متقدم يحذو حذوه، وينقل قوله مُقلداً له من غير فكرة فيما نقله ولا بحث عمّا حصله".<sup>1</sup>

وذكر الزركشي في البرهان أنّ من ألف فيه قديماً هو مقاتل بن سليمان البلخي ت150هـ، وجمّع فيه من المتأخّرين ابن الزاغوني، وأبو الفرج بن الجوزي، والدّامعاني الواعظ، وأبو الحسين بن فارس، وسُمّي كتابه "الأفراد".<sup>2</sup>

ولكن ابن الجوزي قال: قد نسب كتاب في "الوجوه والنظائر" إلى عكرمة عن ابن عباس "رضي الله عنهما"، وكتاب آخر إلى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

وممن ألف في كتب "الوجوه والنظائر" الكليبي<sup>3</sup>، ومقاتل بن سليمان<sup>4</sup>، وأبو الفضل العباس بن الفضل الأنصاري<sup>5</sup>. وروى مطروح بن محمد بن شاعر عن عبد الله بن هارون الحجازي<sup>6</sup>

<sup>1</sup> جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي- زهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر- تح: محمد عبد الكريم كاظم الراضي- مؤسسة الرسالة- بيروت- لبنان- ط1-1404هـ-1984م- ص: 81

<sup>2</sup> الزركشي- البرهان في علوم القرآن- ج1- ص: 102

<sup>3</sup> محمد بن السائب، توفي سنة 146.

<sup>4</sup> مقاتل" بن سليمان بن بشير الأزدي الخراساني أبو الحسن البلخي صاحب التفسير قال البخاري روى عنه البخاري حدثنا مقاتل بن جوال دوز وقال عيسى بن يونس مقاتل بن دوال دوز روى عن نافع مولى بن عمر وأبي إسحاق السبيعي وأبي الزبير والزهري والضحاك ومجاهد وابن سيرين وثابت البناني وزيد بن أسلم وعطاء بن أبي رباح وعطية بن سعد وعمرو بن شعيب وجماعة. ينظر: ابن حجر العسقلاني- تهذيب التهذيب- مطبعة دائرة المعارف النظامية-الهند- ط1-1326هـ-ج10-ص: 279

<sup>5</sup> هو العباس ابن الفضل الأنصاري قاضي الموصل توفي 186 هـ.

<sup>6</sup> عبد الله بن هارون الحجازي شيخ حجازي في عصر الثوري

## محاضرات في علوم القرآن الكريم

عَنْ أَبِيهِ، كَتَابَا فِي " الْوُجُوهِ وَالنَّظَائِر " ، وَأَبُو بَكْرٍ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحُسَيْنِ النَّقَاشِ<sup>1</sup> ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الدَّامَغَانِيِّ<sup>2</sup> ، وَأَبُو عَلِيٍّ الْبِنَاءِ<sup>3</sup> مِنْ أَصْحَابِنَا، وَشَيْخَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ عَلِيِّ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الرَّاعُونِيِّ<sup>4</sup> . وَلَا أَعْلَمُ أَحَدًا جَمَعَ الْوُجُوهِ وَالنَّظَائِرَ سِوَى هَؤُلَاءِ<sup>5</sup> . وَمِنَ الْأَوَائِلِ كِتَابُ " التَّصَارِيفِ " كَذَلِكَ<sup>6</sup> ، وَهَذِهِ التَّسْمِيَةُ لَا تَبْعُدُ فِي مَعْنَاهَا عَنِ الْوُجُوهِ كَمَا قَالَ الْبَاحِثُ عَبْدِ الْعَالِ سَالِمٌ فِي دِرَاسَتِهِ لِمَنْهَجِ يَحْيَى بْنِ سَلَامٍ فِي كِتَابِهِ<sup>7</sup> .

### 5/ أمثلة الوجوه والنظائر في القرآن الكريم:

كما أسلفت الذكر ، فإننا سنذكر الكلمة القرآنية، ثم نتبع سياقاتها الواردة في القرآن الكريم، لنبرز المعاني المختلفة لها، وهذا اللون هو من أنواع التفسير الموضوعي.

**كلمة الهدى:** ونبتدئ بها تيمنا بكتاب الله تعالى إذ بدأ وصف الكتاب بالهداية. ولهذه الكلمة سبعة عشر وجها وقيل تسعة عشر وجها.



أصله التقدّم ممن ثم قيل للعنق: الهادي لتقدمه الجسد ، ثم استعمل في الإرشاد ، ثم جعل من الإرشاد في الدين ، والإرشاد في الطريق فرق في المصدر، فقالوا: في الدين هدى ، وفي الطريق هداية، وسمي الهدي هدياً؛ لأنه يقدم للنحر، والهدية تقدم أمام الحاجة، والعروس هدى؛ لأنها تقدم إلى زوجها ويتبعها أهلها، والفرق بين الهدى والإرشاد: أنّ الهدى يكون في الخير والشرّ ، يقال: هداه إلى السوء

<sup>1</sup> أبو بكر حسن النقاش توفي سنة 351 هـ

<sup>2</sup> أبو عبد الله الحسين بن محمد الدامغاني توفي سنة 478 هـ

<sup>3</sup> أبو عليّ البناء توفي سنة 471 هـ

<sup>4</sup> الراغوني توفي سنة 527 هـ

<sup>5</sup> ابن الجوزي- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر- ص:83

<sup>6</sup> كتاب التصاريف ليحيى بن سلام- سماه التصاريف لتفسير القرآن مما اشبهت أسماؤه وتصرفت معانيه

<sup>7</sup> عبد العال سالم مكرم- المشترك اللفظي في الحقل القرآني- ص116

## محاضرات في علوم القرآن الكريم

والمكروه، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾<sup>1</sup>، ولا يكون الإرشاد إلا إلى الخير<sup>2</sup>.  
 وذلك في قوله في البقرة: ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾<sup>3</sup>، يعني على بيان من ربهم. وقوله في لقمان: ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى ﴾<sup>4</sup>، يعني على بيان. وتصديق ذلك في حم السجدة قوله: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ<sup>5</sup>، يعني: بَيَّنَّا لَهُمْ<sup>6</sup>.

- وَالَّذِينَ: ﴿ قُلْ إِنِّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ ﴾<sup>7</sup>.
- وَالْإِيمَانِ: ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾<sup>8</sup>.
- والدعاء: ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾<sup>9</sup>، ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾<sup>10</sup>.
- وَمَعْنَى الرَّسْلِ وَالْكُتْبِ: ﴿ فِيمَا يَأْتِيكُمْ مِنِّي هُدًى ﴾<sup>11</sup>.
- والمعرفة: ﴿ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾<sup>12</sup>.
- وَمَعْنَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ ﴾<sup>13</sup>.

<sup>1</sup> سورة الصافات 23

<sup>2</sup> أبو هلال العسكري- الوجوه والتظائر- حققه: محمد عثمان- مكتبة الثقافة الدينية- ط1-1428هـ-2007م-ج1- ص:497

<sup>3</sup> سورة البقرة 05

<sup>4</sup> سورة لقمان 05

<sup>5</sup> سورة فصلت 17

<sup>6</sup> يحيى بن سلام- كتاب التصاريف-ص:96

<sup>7</sup> سورة آل عمران 73

<sup>8</sup> سورة مريم 76

<sup>9</sup> سورة الرعد 07

<sup>10</sup> سورة الأنبياء 73

<sup>11</sup> سورة البقرة 38

<sup>12</sup> سورة النحل 16

<sup>13</sup> سورة البقرة 159

## محاضرات في علوم القرآن الكريم

- وَبِمَعْنَى الْقُرْآنِ: <sup>1</sup> ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾ <sup>2</sup> .
- وَالتَّوْرَةَ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى﴾ <sup>3</sup> .
- وَالْإِسْتِرْجَاعَ: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ <sup>4</sup> .
- وَالْحُجَّةَ: ﴿لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ <sup>5</sup> ، بَعْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَهْلًا بِأُحْمَاءٍ لِي لِيَهْدِيَهُمْ حُجَّةً﴾ <sup>6</sup> أَي: لَا يَهْدِيَهُمْ حُجَّةً.
- وَالتَّوْحِيدَ: ﴿إِنْ تَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ﴾ <sup>7</sup> .
- وَالسَّنَةَ: ﴿فِيهِدُهُمْ أَقْتَدَهُ﴾ <sup>8</sup> ، ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾ <sup>9</sup>
- وَالْإِصْلَاحَ: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْفَاسِقِينَ﴾ <sup>10</sup> .
- وَالْإِلْهَامَ: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ <sup>11</sup> ، أَي: أَلْهَمَهُمُ الْمَعَاشَ.
- وَالتَّوْبَةَ: ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ <sup>12</sup> .
- وَالْإِرْشَادَ: ﴿أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ <sup>13</sup> .

<sup>1</sup> الزركشي - البرهان في علوم القرآن - ج1 - ص: 103

<sup>2</sup> سورة النجم 23

<sup>3</sup> سورة غافر 53

<sup>4</sup> سورة البقرة 157

<sup>5</sup> سورة البقرة 258

<sup>6</sup> سورة البقرة 258

<sup>7</sup> سورة القصص 57

<sup>8</sup> سورة الأنعام 90

<sup>9</sup> سورة الزخرف 22

<sup>10</sup> سورة يوسف 52

<sup>11</sup> سورة طه 50

<sup>12</sup> سورة الأعراف 156

<sup>13</sup> سورة القصص 22

- الشَّدَّةِ: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾<sup>1</sup> .
- والعقر: ﴿وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ﴾<sup>2</sup> .
- وَالزَّيْنَى: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾<sup>3</sup> ، ﴿مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سُوءًا﴾<sup>4</sup> .
- وَالْبَرَصِ: ﴿بَيِّضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾<sup>5</sup> .
- وَالْعَذَابِ: ﴿إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ﴾<sup>6</sup> .
- وَالشُّرْكَ: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾<sup>7</sup> .
- والشدة: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ﴾<sup>8</sup> . ﴿وَالسِّنْتُمْ بِالسُّوءِ﴾<sup>9</sup> .
- والذنب: ﴿يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾<sup>10</sup> .
- وَبِمَعْنَى: بِنَسِ ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾<sup>11</sup> .
- والضَّر: ﴿وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾<sup>12</sup> ، ﴿وَمَا مَسَّنِي السُّوءُ﴾<sup>13</sup> .

<sup>1</sup> سورة البقرة 08

<sup>2</sup> سورة الأعراف 73

<sup>3</sup> سورة يوسف 25

<sup>4</sup> سورة مريم 28

<sup>5</sup> سورة طه 22

<sup>6</sup> سورة النحل 27

<sup>7</sup> سورة النحل 28

<sup>8</sup> سورة النساء 148

<sup>9</sup> سورة الممتحنة 02

<sup>10</sup> سورة النساء 17

<sup>11</sup> سورة الرعد 25

<sup>12</sup> سورة النمل 62

<sup>13</sup> سورة الأعراف 188

▪ وَالْقَتْلِ وَالْهَزِيمَةِ: ﴿لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾<sup>2</sup>1 .

### تفسير اللباس على ستة وجوه:

اللباس واللبس: ما يُلبس واللبس المصدر، وسمي الخلط "لبسا"؛ لأن وجه الصواب مستمر معه، وأصل اللبس الستر، واللبوس مثل اللباس، قال الشاعر: لبوسا ومطعما<sup>3</sup>.

#### ❖ الوجه الأول: اللباس يعني الخلط

وذلك قوله في البقرة: ﴿وَلَا تَلْبَسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾<sup>4</sup>، يعني: لا تخلطوا الحق بالباطل. وفي آل عمران: ﴿لَمْ تَلْبَسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾<sup>5</sup>، يعني لم تخلطون الحق بالباطل؟ أي: الإسلام بالشرك، تفسير الحسن. وفي الأنعام: ﴿وَلَمْ يَلْبَسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾<sup>6</sup>، يعني: ولم يخلطوا إيمانهم بشرك.

#### ❖ الوجه الثاني: اللباس يعني السكن

وذلك قوله في البقرة: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾<sup>7</sup>، يقول: نساؤكم سكن لكم وأنتم سكن لهن. وفي الفرقان: ﴿جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾<sup>8</sup>، يعني: سكننا. والتي في "عم يتساءلون": ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾<sup>9</sup>، يعني: سكننا.

<sup>1</sup> سورة آل عمران 174

<sup>2</sup> السيوطي - الإتيان في علوم القرآن - ج 2 - ص: 147

<sup>3</sup> أبو هلال العسكري - الوجوه والنظائر - ج 1 - ص: 423

<sup>4</sup> سورة البقرة 42

<sup>5</sup> سورة آل عمران 71

<sup>6</sup> سورة الأنعام 82

<sup>7</sup> سورة البقرة 187

<sup>8</sup> سورة الفرقان 47

<sup>9</sup> سورة النبأ 10

## محاضرات في علوم القرآن الكريم

❖ الوجه الثالث: اللباس يعني الثياب التي تلبس

الأعراف: ﴿يَبْنِيَّ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤْرِي سَوْآتِكُمْ﴾<sup>1</sup>، يعني: الثَّيَاب. وفي "حم الدخان": ﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾<sup>2</sup>، يعني: الثَّيَاب بعينها.

❖ الوجه الرابع: اللباس يعني العمل الصالح<sup>3</sup>

وذلك قوله في "الأعراف": ﴿وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾<sup>4</sup>، يعني: العمل الصَّالِح والعفاف، لأنَّ العفيف مستور العورة، وإن كان عاريا من الثَّيَاب، وأنَّ الفاجر بادي العورة، وإن كان كاسيا من الثَّيَاب.

❖ الوجه الخامس: اللباس يعني الشَّيْب

وذلك قوله في سورة "الأنعام": ﴿وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَّا يَلْبَسُونَ﴾<sup>5</sup>، يعني: ولشَّبَّهْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَشْبَهُونَ.

❖ الوجه السادس: اللباس يعني الشك

وذلك قوله في سورة "ق" ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ﴾<sup>6</sup>، يعني: بل هم في شك ﴿مَنْ خَلَقَ جَدِيدًا﴾، يعني: في شك. وهو قول الحسن<sup>7</sup>.

وألفاظ أخرى وردت من هذا القبيل يرجع له في كتب الوجوه والنظائر<sup>8</sup>، كلفظ الأمة، والهدى، والغبي، والفساد، واليسير.... وأما الأفراد؛ فهي ألفاظ تجيء بمعنى مفرد غير المعنى الذي تستعمل فيه

<sup>1</sup>سورة الأعراف26

<sup>2</sup>سورة الكهف31

<sup>3</sup>ابن الجوزي- - نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر- ص:529، وقد ذكر ثلاثة معانٍ فقط

<sup>4</sup>سورة الأعراف26

<sup>5</sup>سورة الأنعام09

<sup>6</sup>سورة ق15

<sup>7</sup>يحيى بن سلام- كتاب التصاريف-ص:120

<sup>8</sup>قد رتبها ابن الجوزي في كتابه نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر على ترتيب الحروف، ترتيبا محكما ودل على ذلك، وذكر بعضها السابقون له والمتأخرون عنه.

## محاضرات في علوم القرآن الكريم

عادة، ولا بن فارس في إحصاء هذا النوع كتاب<sup>1</sup> قال فيه: كل ما في القرآن من ذكر الأسف فمعناه الحزن إلا ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا﴾<sup>2</sup>، فمعناه أعضبونا.

وكل ما فيه من ذكر " البروج "، فهي الكواكب إلا: ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾<sup>3</sup>، فهي القصور الطوال الحصينة.

وكل ما فيه من ذكر " البر والبحر "، فالمراد بالبحر الماء وبالبر التراب اليابس إلا: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾<sup>4</sup>، فالمراد به البرية والعمران..<sup>5</sup>

ومما بان لك من الوجوه والنظائر تدرك به أسرار اللسان العربي، ويتضح لك سعته، فيعطيك من ألفاظه ما انتهى لسانك في الاختيار والاضطرار، ومن المعاني ما تبلغ به العقول غاية الاقتدار، والمهيمن على وجه الإعجاز في هذا الجانب هو كلام الله الذي اشتمل على جيد اللفظ وجياد المعاني، فلزم على متدبريه الوقوف على فنن السبك ليحصل الدرك.

<sup>1</sup> مصطفى صادق الرافعي - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية - دار الكتاب العربي - بيروت - ط8-1425هـ-2005م - ص: 54

<sup>2</sup> سورة الزخرف 55

<sup>3</sup> سورة النساء 78

<sup>4</sup> سورة الروم 41

<sup>5</sup> السيوطي - الإتقان في علوم القرآن - ج2 - ص: 156



## المحاضرة الرابعة: الوضع في التفسير

مما تقرّر في أصول الشريعة أنّ شرف العلم بشرف الانتساب، ولذا كان تفسير الكتاب أولى ما تصرّف فيه الجهود، وتبذل في سبيله الأوقات، لأنّ مستمدّ شرفه من شرف وعزّة قائله، فتوسّعت العلماء في خدمته تحصيلاً لشرفه، جمعاً، وحفظاً، قراءة، وإقراء، واستنباطاً، وتفسيراً، وتدبّراً، منذ بدء تنزيله وإلى يوم ميراث أرضه، ومن عليها من خلقه. مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَنَٰحِفُونَ﴾<sup>1</sup>.

والمتتبع لمراحل عمُر الأُمَّة يدرك أنّ فترة شبابها كانت أكثر حرصاً على كتاب ربّها، فبلّغت الأمانة امتثالاً لأمر الله ولأمر رسوله، وما إن اتّسع جسد الأُمَّة ، ودخل في ترابه الأعاجم، وهنّ العظم، فدخل في دين الله ما ليس منه، ومنها علم التفسير، وهو ما يعرف بالدخيل في علم التفسير.

### 1/ التفسير بين الدخيل والأصيل:

من المعلوم أنّ العلوم الشرعية في العهد الأول، لم تكن مستقلّة في تأليف ومصنّفات خاصّة، وإنّما كانت ضمن علم واحد في أكثرها، ثمّ أفردت فيما بعد، فأصبحت علوماً قائمة بذاتها، ومن هذه العلوم علم التفسير إذ كان ضمن كتب الحديث، وذلك أنّ السند كان عزّ القرون الخيرية الأولى، ثمّ استقلّ عنه فيما بعد للاحتياج والتوسّع.

وعلم التفسير مسّته من الدخيل ما مسّ الحديث، فدخله وعلّق به ما ليس منه، وهذا ما يسمى بالدخيل في علم التفسير، فما هو الدخيل؟ وما هي أسبابه؟

<sup>1</sup> سورة الحجر 09

أ/ في اللغة : جاء في المصباح المنير معنى الدخيل قال: " وَقُلَانُ دَخِيلٌ بَيْنَ الْقَوْمِ أَي لَيْسَ مِنْ نَسَبِهِمْ بَلْ هُوَ نَزِيلٌ بَيْنَهُمْ وَمِنْهُ قِيلَ هَذَا الْفَرْعُ دَخِيلٌ فِي الْبَابِ وَمَعْنَاهُ أَنَّهُ ذُكِرَ اسْتِطْرَادًا وَمُنَاسَبَةً وَلَا يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ عَقْدُ الْبَابِ"<sup>1</sup>.

فدلّ المعنى اللغوي على حقيقة المراد من الدخيل في التفسير إذا استعملنا المعنى في بابه، أي: هو ليس بأصل في التفسير، فهو نزل بين الأصل، إمّا بغرض سيّئ، أو بوجه غير مناسب في بابه.

ب/ اصطلاحاً: هو الذي ليس له أصل صحيح في الدين، تسلّل إلى رحاب التفسير على حين غرّة، وعلى حين غفلة من الزمن؛ بفعل مؤثرات مختلفة بعد وفاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم<sup>2</sup>. وهو كالأسرائيليات، والموضوعات عموماً، وسنفرّد الحديث عن الوضع، وأسبابه فيما يأتي .

وقلنا في البداية أنّ التفسير كان جزءاً من الحديث، إذ الجامع بينهما هو السند، ولذا تجد في كتب السنّة أقساماً أفردت للتفسير النبوي، وتفسير الصحابة، والتابعين، والحديث دخله الوضع مما استدعى من علماء الأمة أن يجمعوه وينفوا عنه الخبث الذي علق به، وتأثّر التفسير بالحديث فأصابه قتر منه، وتوالى فيما بعد الوضع لأسباب.

### 2/ التفسير بين القوّة والضعف:

والتفسير تقلّب بين جناحي القوّة والضعف، ففي عصر النبوة كان التفسير يمتاز بالصحة لوجود من هو مكلف ببيانه لأمته، وهو النبي صلّى وسلّم عليه، وما أشكل على الصحابة رفع فيه الخلاف، ولكن بعد وفاته صلى وسلّم عليه دخل التفسير بالمأثور ما ليس منه، وهذا راجع لأسباب، وهو ما احتاط فيه سلف الأمة، فقد نقل ابن تيمية في مقدّمة أصول التفسير قول الإمام أحمد رحمه الله،

<sup>1</sup> الفيومي أحمد - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير - المكتبة العلمية - بيروت - دط - دت - ج1 - ص: 190

<sup>2</sup> منهاج جامعة المدينة العالمية - الدخيل في التفسير - ماجستير - جامعة المدينة العالمية - دط - دت - ص: 12

## محاضرات في علوم القرآن الكريم

قال: " ومعلوم أنّ المنقول في التفسير أكثره كالمقول في المغازي والملاحم؛ ولهذا قال الإمام أحمد: ثلاثة أمور ليس لها إسناد: التفسير، والملاحم، والمغازي. ويروي: ليس لها أصل، أي: إسناد؛ لأنّ الغالب عليها المراسيل، مثل ما يذكره عروة بن الزبير، والشعبي، والزهري.."<sup>1</sup>

وهو يقصد ما غلب على التفسير كما ذكره، لأنّ التفسير فيه مرويات صحيحة بسندها، والمراسيل مختلف في الأخذ بها كما هو معلوم، والخلاف في المرسل بين المحدثين والأصوليين ظاهر.

ويضمّ الدخيل أنواعا كثيرة كلّها تعدّ من أسباب الوضع وهي مضعفة للتفسير:

\* يضمّ الأحاديث الموضوعية على النبي -صلى الله عليه وسلم.

\* الأحاديث الضعيفة، خاصة إذا كان ضعفها لا ينجبر.

\* يضمّ الإسرائيليات المخالفة للقرآن أو السنّة أو التي لا يعرف لها موافقة، ولا مخالفة، وهو ما نعرفه بأنّه المسكوت عنه، أمّا الإسرائيليات الموافقة لما عندنا فلا تعتبر من قبيل الدخيل.

\*\* يدخل تحت هذا القسم ما نُسب إلى الصحابة، ولم يثبت عنهم.

\* ما نسب إلى التابعين، ولم يثبت عنهم<sup>2</sup>3.

وأجملها محمد حسن الذهبي في ثلاثة فقط، فقال: " نستطيع أن نُرجع أسباب الضعف في رواية التفسير المأثور إلى أمور ثلاثة:

**أولها:** كثرة الوضع في التفسير. **ثانيها:** دخول الإسرائيليات فيه. **ثالثها:** حذف الأسانيد<sup>4</sup>.

### 1.2/ التفصيل في أسباب الوضع:

والوضع في التفسير على وجه الخصوص كانت وراءه دوافع، إمّا بنيّة إفساد المسلمين، فوجدوا

طريقا للدخول منه، أو داء أصاب الأمة ما استدعى حذف الإسناد الذي هو الركن والعماد.

<sup>1</sup> ابن تيمية- مقدمة في أصول التفسير- ص:22

<sup>2</sup> مناهج جامعة المدينة العالمية- الدخيل في التفسير- ص:14

<sup>3</sup> ذكر في هذا الكتاب سبب آخرين، إلّا أنّني لم أوافقهم فيما ذهبوا إليه، ولذلك اكتفيت بذكر الخمسة المذكورة فقط

<sup>4</sup> محمد حسين الذهبي- التفسير والمفسرون- مكتبة وهبة- ج1- ص:115

## محاضرات في علوم القرآن الكريم

### أ/ ما دسّه الزنادقة من اليهود والفرس والرومان وغيرهم في الرواية الإسلامية

وهؤلاء دخلوا إلى الإسلام وتستروا بجلبايه ليوهنوا المسلمين، والسبيل الأمثل وجدوه في سنّة رسول الله صلّى وسلم عليه، فأدخلوا أحاديث موضوعة مكذوبة، تُوهم التعارض البيّن بغرض افتتان المسلمين، فيقتتلوا، وتذهب ريجهم، ومن هذا ما اختلقه الروافض، والشيعه، والمنتسبون لآل البيت<sup>1</sup>، وهذا جمرته الأولى التعصّب الطائفي والمذهبي، جعل كلّ طائفة من هذه الطوائف تحاول بكلّ جهودها أن تؤيّد مذهبها بالاختلاق، وتفسير القرآن بغير ما أَراده الله<sup>2</sup>، وحتّتهم إيهام أنفسهم بلمّ كلمة المسلمين معهم، وهذا عين التدليس والكذب عن رسول الله الذي حدّر منه.

ونلحق به ما لقتته الفرق الضّالة من أحاديث، كالدريه، والباطنيه، والجهميه، والمرجئه، وأضربهم فقد وضعوا أحاديث<sup>3</sup> تؤيّد هواهم المذهبي، وأوردوا أقوالا لا هي من التفسير ولا من التأويل، قال ابن تيمية: "والمقصود أن مثل هؤلاء اعتقدوا رأيا، ثمّ حملوا ألفاظ القرآن عليه، وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا من أئمة المسلمين لا في رأيهم ولا في تفسيرهم"<sup>4</sup>، ثمّ ذكر أمثلة عن ذلك نقتبس منها: "فتفسير الرافضة كقولهم: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾<sup>5</sup>، هما أبو بكر وعمر، و ﴿لَنْ أَسْرِبَنَّكَ لِيحْبَطَنَّ عَمَلَكَ﴾<sup>6</sup>، أي: بين أبي بكر وعلي في الخلافة، و ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبُحُوا بَقَرَةً﴾<sup>7</sup>، هي عائشه، و ﴿فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ﴾<sup>8</sup>، طلحة والزبير، و ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾، عليّ وفاطمة، و ﴿اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾<sup>9</sup>، الحسن والحسين"<sup>10</sup>

<sup>1</sup> محمد أبو شهبة- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير- مكتبة السنة- ط4-1408هـ-ص:86

<sup>2</sup> محمد حسين الذهبي- التفسير والمفسرون- مكتبة وهبة -ج1-ص:116

<sup>3</sup> ينظر: محمد أبو شهبة- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير -ص:88

<sup>4</sup> ابن تيمية- مقدمة في أصول التفسير- ص:35

<sup>5</sup> سورة المسد1

<sup>6</sup> سورة الزمر65

<sup>7</sup> سورة البقرة67

<sup>8</sup> سورة التوبة12

<sup>9</sup> سورة الرحمن22

<sup>10</sup> ابن تيمية- مقدمة في أصول التفسير- ص:36

## محاضرات في علوم القرآن الكريم

وقد ذكر عبد القاهر البغدادي أنّ ابن أبي العوجاء وضع أحاديث كثيرة بأسانيد يغترّ بها من لا معرفة له بالجرح والتعديل ، وتلك الأحاديث التي وضعها كلّها ضلالات في التشبيه والتعطيل ، وفي بعضها تغيير أحكام الشريعة ، ورفع خبر هذا الضالّ إلى أبي جعفر بن محمد بن سليمان عامل المنصور على الكوفة فأمر بقتله فقال : لن يقتلوني ، لقد وضعت أربعة آلاف حديث أحللت بها الحرام ، وحرمت بها الحلال ، وفطرت الرافضة في يوم من أيام صومهم ، وصومتهم في يوم من أيام فطرهم<sup>1</sup>

ونزيد إليه ما دخله من إسرائيليات مما دسّه أهل الكتاب عن قصد منهم ، وقد فصّلنا فيه القول في محاضرة مفردة ، ونقصد بها ما رووه من أباطيل وخرافات تناقض العقل قبل الوحي ، وهي مبثوثة في القصص وغيبيات عالم الشهادة والآخرة<sup>2</sup>.

### ■ ب/ قسم ما نسب للصحابة والتابعين ، ولم يثبت عنهم

وما نسب إلى بعض الصحابة لا سيما من اشتهر منهم بالتفسير ، كترجمان القرآن عبد الله ابن عباس رضي الله عنه<sup>3</sup> ، ونحن نثبت لابن عباس مرتبته في التفسير ، وقد دعا له النبي صلى وسلم عليه بقوله: «اللهم فقّهه في الدين، وعلمه التأويل»<sup>4</sup> ، وابن عباس بريء ممّا نسب إليه ، بغرض صراع سياسي ، وانتصارا لعصبية النسب ممّا غرضه باطل ، وهو الأمر نفسه للإمام علي

<sup>1</sup> عبد القاهر البغدادي - الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية - دار الآفاق الجديدة - بيروت - ط2 - 1977م - ص: 256-

257

<sup>2</sup> ينظر: محمد أبو شهبه - الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير - ص: 86

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه - ص: 86

<sup>4</sup> أحمد بن حنبل - المسند - تح: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون - إشراف: عبد الله عبد المحسن التركي - مؤسسة الرسالة -

ط1 - 4-21 4هـ - 2001م - مسند أهل البيت - مسند عبد الله بن عباس بن عبد المطلب عن النبي صلى وسلم عليه - ج4 -

ص: 225 - رقم: 2397

## محاضرات في علوم القرآن الكريم

رضي الله عنه، وما نسب إليه من تفسير من طرف الشيعة، وما لققوه من أحاديث، بغرض التقرب من بيت النبوة.

■ **ح/ حذف الإسناد:** ومما أصاب الأمة الإسلامية في فترة من تاريخها، هو حذف الإسناد، إذ الغالب في الصدر الأول هو التلقين والمشافهة، ثم تفتن الصحابة رضي الله عنهم كأبي بكر وعمر وغيرهم بدخول الوضع والضعف، فأرادوا أن تسلم الأمة من هذا المرض، وليس شكاً منهم في صحابة رسول الله، وهي سنة من سنن الخلفاء الراشدين لتبصير الأمة بما سيحدث لها في مستقبلها.

فقد روى مالك في الموطأ أن الجدة جاءت لأبي بكر لأجل الميراث فقال لها: "مالك في كتاب الله شيء، وما علمت لك في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، شيئاً. فأرجعي حتى أسأل الناس. فسأل الناس. فقال المغيرة بن شعبه: حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم، أعطأها السدس. فقال أبو بكر: هل معك غيرك؟ فقال محمد بن مسلمة الأنصاري، فقال مثل ما قال المغيرة. فأنفذه لها أبو بكر الصديق<sup>1</sup>.

وهو الحال نفسه لعمر رضي الله عنه في الاستئذان ثلاثاً، فقد روى ذلك مالك في الموطأ: "أن أبا موسى الأشعري جاء يستأذن على عمر بن الخطاب. فاستأذن ثلاثاً ثم رجع. فأرسل عمر بن الخطاب في أثره، فقال: ما لك لم تدخل؟

فقال أبو موسى: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «الاستئذان ثلاث. فإن أذن لك فادخل وإلا فارجع» فقال عمر: ومن يعلم هذا؟ لئن لم تأتيني بمن يعلم ذلك لأفعلن بك كذا وكذا. فخرج أبو موسى حتى جاء مجلساً في المسجد يقال له مجلس الأنصار. فقال: إني أخبرت عمر بن الخطاب: أتي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «الاستئذان ثلاث. فإن أذن لك فادخل وإلا فارجع». فقال: لئن لم تأتيني بمن يعلم هذا لأفعلن بك كذا وكذا. فإن كان سماع ذلك أحد منكم فليقم معي. فقالوا لأبي سعيد الخدري: فم معه. وكان أبو سعيد أصغرهم. فقام معه. فأخبر

<sup>1</sup> مالك بن أنس - الموطأ - تح: محمد مصطفى الأعظمي - مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان - أبو ظبي - الإمارات - ط1 -

1425-2004م - كتاب الفرائض - ميراث الجدة - ج3 - ص: 732 - رقم: 1871

## محاضرات في علوم القرآن الكريم

ذَلِكَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ. فَقَالَ عُمَرُ لِأَبِي مُوسَى: أَمَا إِنِّي لَمْ أَهْمَكَ. وَلَكِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَتَقَوَّلَ النَّاسُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"<sup>1</sup>.

والتابعون مثلهم، فقد نُسب إليهم اختلاق كثير من غير إسناد، ومن غير تحرر عن رواها، فمن ثمّ التبس الصحيح بالضعيف، والحقّ بالباطل، وصار كلّ من يقع على رأي يعتمد ويورده، ثمّ يجيء من بعدهم فينقله على اعتبار أنّ له أصلاً، وتحسيناً للظنّ بقائله، ولا يكلف نفسه مؤنة البحث عن الرواية<sup>2</sup>.

ومنهم بعض الجهلة الذين كذبوا على رسول الله، وحقّتهم أنّهم يكذبون له لا عليه، ولذلك قال ابن كثير: "منهم متعبّدون يحسبون أنّهم يحسنون صنعا، يضعون أحاديث فيها ترغيب وترهيب، وفي فضائل الأعمال، ليعمل بها. وهؤلاء طائفة من الكرامية وغيرهم، وهم من أشرّ ما فعل هذا، لما يحصل بضررهم من الغرر على كثير ممن يعتقد صلاحهم، فيظن صدقهم، وهم شر من كلّ كذاب في هذا الباب. قال بعض هؤلاء الجهلة: نحن ما كذبنا عليه، إنّما كذبنا له! وهذا من كمال جهلهم، وقلة عقلهم، وكثرة فجورهم وافتراءهم، فإنّه عليه الصلاة والسلام لا يحتاج في كمال شريعته وفضلها إلى غيره"<sup>3</sup>.

### 3/ أثر الوضع في التفسير<sup>4</sup>:

التفسير تأثر بسبب الوضع من جانبين، الأوّل: أن دخله ما ليس له صلة بالتفسير، وهذا انبرى له من الأئمة من ينقحه ويمحصّه، وهم المحدثون، فبيّنوا مختلف الحديث وموضوعه، ووضعوا قواعد يعرف بها، والثاني: وهو كما ذكر حسين الذهبي، أنّ التفسير ضاع منه الكثير لأسباب منها: "أنّ ما أحاط به من شكوك، أفقدنا الثقة به، وجعلنا نردّ كلّ رواية تطرّق إليها شيء من الضعف، وربما كانت صحيحة في ذاتها.

<sup>1</sup> المصدر السابق- كتاب الاستئذان- باب الاستئذان- ج5- ص: 1403- رقم: 3540

<sup>2</sup> محمد أبو شهبة- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير- ص: 93

<sup>3</sup> ابن كثير أبو الفداء- اختصار علوم الحديث- تح: أحمد محمد شاكر- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- ط2- دت- ص: 78-79

<sup>4</sup> محمد حسين الذهبي- التفسير والمفسرون- ج1- ص: 117

## محاضرات في علوم القرآن الكريم

كما أنّ اختلاط الصحيح من هذه الروايات بالسقيم منها، جعل بعض مَنْ ينظر فيها وليس عنده القدرة على التمييز بين الصحيح والعليل، ينظر إلى جميع ما رُوِيَ بعين واحدة، فيحكم على الجميع بالصحة، وربما وَجَدَ من ذلك روايتين متناقضتين عن مفسّر واحد فيتهمه بالتناقض في قوله، ويّتهم المسلمون بقبول هذه الروايات المتناقضة المتضاربة<sup>1</sup>.

### 4/ جهود العلماء في الكشف عن الوضع:

والأمة الإسلامية وسمّها رسول الله بوسم عدم الاجتماع على الضلال في مجموعها، وهذه صفة في أمة محمد صلّى وسلم عليه دون بقية الأمم، ولذا انبرى طائفة من العلماء لتنقيح وتمحيص المرويات، رواية ودراية، فأخرجوا ما اختلق وما دُسّ بقصدٍ وبدونه، فبيّنوه للأمة، وصنفوا فيه، ثم قعدوا قواعد يعرف بها ما سبق ليكون ميزانا يعرف به الوضع، وهذا أكثره في علم الحديث، وكذلك في التفسير إذ الجامع هو السند وقد كان قسما منه ابتداء.

والواجب على المسلم أن يتحرّى المرويات وأقوال المفسرين، وإن نسبها لأصحابها، إذا التثبت مطلوب اليوم، لأننا في عصر سهل فيه التثبت، رجوعا إلى المصنفات، وتتبع الأقوال والنقول، ولا سيما فيما عرف من أنّ الوضع قد مسّه، فلا ينقل كلّ ما وجدّه، لئلا ينسب للتفسير ما ليس منه.

<sup>1</sup> المرجع السابق - ج1 - ص: 117

المحاضرة الخامسة: الجدل في القرآن الكريم

المتدبر لكتاب الله تعالى حقيقة هو الذي يقف على مقاصد الخطاب القرآني المتنوع، يقف على أسراره في تحريك داعي النظر توفيقاً بين كتابه المسطور، وكونه المنظور، فيستقيم حال قلبه عقيدة بزيادة التدرج في معارج الإسلام والإيمان والإحسان، ويمثل أمر ربه في تشريعه للأحكام، ويتمثل أخلاق القرآن في واقع الناس . والخطاب القرآني يستمد قوة تأثيره من خلال تنوع أسلوبه في مخاطبة النوع الإنساني على اختلاف العقول، ولقد تفنن القرآن في عرض حججه ردًا على معارضيهِ ومكابريهِ، فسلب خصومه الحجة، وأبان لهم المحجة، فأعجزهم عن الإتيان بمثله بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّمَّنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>1</sup>

الجدل في القرآن الكريم:

نزول القرآن الكريم في بيئة عربية أليف أفرادها المكابرة والجدال، توحى أن القرآن الكريم اتخذ منهاجاً فريداً في إلزام الخصوم الحجّة والبرهان، فتدرّج بهم من التعريف إلى الاعتراف، ردًا على شبههم ، وكشفاً لحيلهم، وسدًا لذريعة تزيين الباطل بالحق، بأسلوب مناظرة وجدال ليقع الإقناع بالحق، فعُدّد من آياته بما اقتضاه الحال والمقام، جمعا بين البراهين العقلية والسمعية ليبلغ بهم التبكيت، فحاولوا مجاراته لبلوغ الصّدّ عنه وما هم ببالغيه، ولقد علموا ذلك فقالوا: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ﴾<sup>2</sup>.

وسنبيّن لفظة الجدل ووقوعها في القرآن الكريم، ومنهج القرآن الكريم في جدال خصومه؟

<sup>1</sup> سورة البقرة 23

<sup>2</sup> سورة فصلت 26

لفظة الجدل لها معانٍ كثيرة مستعملة في كلام العرب بحسب سياقاتها، والذي يهدف إليه بحثنا هو ما يتعلّق بالمجادلة والمناظرة، قال الجوهري: " وجادلته، أي: خاصمه، مُجَادَلَةٌ وَجِدَالٌ: والاسم الجَدَلُ، وهو شدّة الخصومة. وَجَدَلْتُ الحبلَ أَجْدَلُهُ جَدَلًا، أي فَتَلْتُهُ فتلاً مُحْكَمًا " <sup>1</sup>، وأمکن اشتقاقه من الجَدَل بسكون الدال كما ذكر ذلك الطوفي، قال: " وهو الشدّ والإحكام يقال جدلت الحبل أجديله جدلا، كتصريف فتلته فتلا إذا فتلته فتلا شديدا محكما" <sup>2</sup>

وهذه المعاني تدلّ على الغلبة والقوة التي يتضمّنهما معنى الجدال والمناظرة، إذ كلّ واحد من المتجادلين يودّ غلبة صاحبه وقهره بقوة الحجة والدليل.

**ب/اصطلاحاً:** قال الطوفي: " إنّه ردّ الخصم عن رأيه إلى غيره بالحجّة، أو يقال: علم أو آلة يتوصّل بها إلى فتل الخصم عن رأيه إلى غيره بالدليل" <sup>3</sup>.

والمجادل يستمدّ قوته من الدليل لطرح دليل الخصم، وإلزامه العدول عن رأيه، وهذا ارتقاء من مرحلة إلى مرحلة، وهذا من معاني الإحكام الوارد في معناه اللغوي، ولذا أصبح علما قائما فيما بعد له أسسه وشروطه تعرف بعلم الجدال والمناظرة.

واستعمل الجدل عند المناطقة والأصوليين والفقهاء بنفس المعنى السابق الذي يفيد إلزام الخصم الحجّة <sup>4</sup>. وبعد أن دعت الأسباب إلى أن يقوم هذا العلم ردّا على خصوم الإسلام، ودحض شبهاتهم،

<sup>1</sup> الجوهري أبو نصر- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية- تح: أحمد عبد الغفور عطار- دار العلم للملايين- بيروت- ط4- 1407-1987م- ج4- ص: 1653

<sup>2</sup> نجم الدين الطوفي - علم الجدل في علم الجدل- تح: قولفهارت هاينريشس- النشرات الإسلامية32- بطلب دار النشر فرانز شتاينر بقيسبادن-1408-1987م- طبع بمساعدة مؤسسة الأبحاث العلمية الألمانية بإشراف المعهد الألماني للأبحاث الشرقية- بيروت- ص: 39

<sup>3</sup> المصدر نفسه- ص: 04

<sup>4</sup> عثمان علي حسن- منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد- دار إشبيليا-السعودية- ط1-1420هـ-1999م- ص: 26-27

## محاضرات في علوم القرآن الكريم

كان موضوعه الأصلي كما ذكر الطوفي - الجدل - هو الأدلة من جهة ما يبحث فيه عن كيفية نظمها وترتيبها على وجه يوصل إلى إظهار الدعوى وانقطاع الخصم<sup>1</sup>.

### 2/ التفسير الموضوعي لكلمة الجدل في القرآن الكريم:

كلمة "الجدل" وما تصرّف منها وردت في القرآن الكريم، وعدّها أبو الفرج ناصر الدين بن الحنبلي فقال: "وقعت في تسعة وعشرين موضعاً، ولفظة الحجّة وما تصرّف منها في سبعة وعشرين موضعاً، ولفظة السلطان في ثلاثة وثلاثين موضعاً، الجميع المراد به الحجّة سوى موضع واحد في الحاقة: ﴿هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾، وقيل: المراد به الحجّة، فأما الجدل، فهو مذمومٌ في كلّ موضع ذكر إلا في ثلاثة مواضع: "أحدها": في النحل: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُم بِآيَاتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾<sup>2</sup>. "الموضع الثاني": في العنكبوت: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾<sup>3</sup>، "الموضع الثالث": في المجادلة: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾<sup>4</sup>، والذي ذكره في سورة الحاقة "سلطانية"، قيل المراد به الحجّة على قول، فيدخل في المعاني الأولى، ويحمل على وجه الذمّ، وحمله على الحجّة ذكره الرازي عن ابن عباس<sup>6</sup>، وقيل: "وَالثَّانِي: ذَهَبَ مُلْكِي وَتَسَلَّطِي عَلَى النَّاسِ وَبَقِيَتْ فَقِيرًا ذَلِيلًا، وَقِيلَ مَعْنَاؤُ: إِنِّي إِتْمَا كُنْتُ أَنَا زُغِ الْمُحِقِّينَ بِسَبَبِ الْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ، فَالآنَ ذَهَبَ ذَلِكَ الْمُلْكُ وَبَقِيَ الْوَبَالُ"<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> نجم الدين الطوفي - علم الجدل في علم الجدل - ص: 04

<sup>2</sup> سورة النحل 125

<sup>3</sup> سورة العنكبوت 46

<sup>4</sup> سورة المجادلة 01

<sup>5</sup> أبو الفرج ناصر الدين بن الحنبلي - استخراج الجدل من القرآن الكريم - تح: زاهر بن عواض الألمعي - مطابع الفرزدق

التجارية - ط2 - 1401هـ - ص: 50-52

<sup>6</sup> الرازي - مفاتيح الغيب - ج30 - ص: 630

<sup>7</sup> المصدر نفسه - ج30 - ص: 630

وقد آثرت ذكر هذه التسمية على " نشأة الجدل "، لغرضٍ يخدم التدليل على سنيّة الجدل، وكونه منطلقاً قرآنياً في الردّ على الخصوم، وما دام منطلقه القرآن الكريم للوصول إلى الإقناع أو التبكيث، ضرب لنا الله قصة في البقرة حوت مبادئ هذا العلم وأسسهِ وعواقبهِ. وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ<sup>2</sup>﴾، إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ<sup>3</sup>﴾.

ففي الآية دليل على أنّ الملائكة اعترضت، ولا يفهم من معنى الاعتراض أنّه دائماً مذموم، بلى، لأنّ الجدل له مقاصده، وهذا ما تدلّ عليه الآيات التي وردت في الملائكة بأنهم خلق نزهوا عن المعصية، قال تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ<sup>4</sup>﴾، وما صدق على قليلهم، صدق على كثيرهم، وقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ<sup>5</sup>﴾، فدلّت الآيات على أنّ الملائكة اعترضت بأوصاف أقرّها عليها الله تعالى في قرآنهِ، ففهم منها أنّ جدالها واعتراضها مقصده ليس مذموماً، وما بدا للملائكة من القرائن بوحى أو بغيرهِ استلزم طلباً واستفساراً من الله خالقهم، وكيف يغيب عنهم قوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ<sup>6</sup>﴾، ولذا قال أبو الفرج الحنبلي: " وهذا منهم

<sup>1</sup> أبو الفرج ناصر الدين بن الحنبلي - استخراج الجدل من القرآن الكريم - ص: 57

<sup>2</sup> سورة البقرة 30

<sup>3</sup> سورة البقرة 34

<sup>4</sup> سورة التحريم 06

<sup>5</sup> سورة الأنبياء 19-20

<sup>6</sup> سورة يس 79

## محاضرات في علوم القرآن الكريم

استدلال بالترجيح والأولوية، أي: من سبح وقدس لك هو أولى بالإيجاد والجعل فيها ممن يفسد فيها ويسفك الدماء، وكان جواب الله لهم الترجيح أيضاً من جهة أخرى، ولهذا لم يردّ عليهم قولهم، إذ قد علم سبحانه أن الذي ظنّوه فيهم ووصفوه به كائن بل عدل الله سبحانه إلى أمر مجمل فقال: ﴿إِنِّي

أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، من ترتيب خلقي وتدبير صنعي المحوط بالحكمة<sup>1</sup>، والله درّ الفخر الرازي في ردّه للشبه التي أمكن أهل الأهواء الطعن في الملائكة من سؤالهم هذا، فقال في أحد ردوده: "وثانيها: أَنَّ إِيْرَادَ الْإِشْكَالِ طَلْبًا لِلْجَوَابِ غَيْرٌ مَّخْذُورٍ فَكَأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّهَا أَنْتَ الْحَكِيمُ الَّذِي لَا يَفْعَلُ السَّفَهَ الْبَتَّةَ، وَنَحْنُ نَرَى فِي الْعُرْفِ أَنَّ تَمَكِينَ السَّفِيهِ مِنَ السَّفَهِ سَفَهٌ؛ فَإِذَا خَلَقْتَ قَوْمًا يُفْسِدُونَ وَيَقْتُلُونَ وَأَنْتَ مَعَ عِلْمِكَ أَنَّ حَالَهُمْ كَذَلِكَ خَلَقْتَهُمْ وَمَكَّنْتَهُمْ وَمَا مَنَعْتَهُمْ عَنْ ذَلِكَ فَهَذَا يُوهِمُ السَّفَهَ وَأَنْتَ الْحَكِيمُ الْمُطَلَّقُ فَكَيْفَ يُمَكِّنُ الْجَمْعُ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ؛ فَكَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ أَوْرَدُوا هَذَا السُّؤَالَ طَلْبًا لِلْجَوَابِ"<sup>2</sup>.

أمّا إبليس فلا ينطبق عليه ما انطبق على الملائكة، ولا يهتّمنا هل هو من جنسهم أم ليس من جنسهم، بل ما وقع منه وما أوعد ذريّة آدم أمام الله تعالى هو المهمّ، واعتراضه وعدم سجوده هو عصيان لمن اتصف بالحكمة سبحانه وتعالى أولاً، ثمّ الاعتراض الذي أورده قد هو تصميم وإفتاء منه، قال الطاهر بن عاشور: "والمعنى أنّه استكبر على الله بإنكار أن يكون آدم مستحقاً لأن يسجد هو له إنكاراً عن تصميم لا عن مراجعة أو استشارة كما دلّت عليه آيات أخرى"<sup>3</sup>، وقال أبو الفرج الحنبلي: "وإبليس أفتى ودلّ في مسألته فانقطع في مجادلته وخسر في كرتّه وبيان فساد تعليله، وإزاغته عن الصواب في تأويله"<sup>4</sup>.

### 4/ الاستدلال القرآني وعلاقته بالجدل:

القرآن الكريم منهجه فريد في الاستدلال على مخالفه، انطلاقاً من المسلّمات أو البدّهيات ووصولاً إلى الإقناع أو التعجيز، والاستدلال أعني به إيراد الدليل أو طلبه من خصومه، وهو أهمّ ركن في أركان

<sup>1</sup> أبو الفرج ناصر الدين بن الحنبلي - استخراج الجدل من القرآن الكريم - ص: 57

<sup>2</sup> الرازي - مفاتيح الغيب - ج 2 - ص: 390

<sup>3</sup> الطاهر بن عاشور - التحرير والتنوير - ج 1 - ص: 424

<sup>4</sup> أبو الفرج ناصر الدين بن الحنبلي - استخراج الجدل من القرآن الكريم - ص: 60

## محاضرات في علوم القرآن الكريم

المناظرة والجدل، والتنوع في عرض الأدلة منهج قرآني أظهره الله لأنبيائه في إثبات رسالاته، وجعله سنة للأمة المحمدية في الذب عن حياض الشريعة، والأدلة لا تخرج عن أمرين، إما نقلية أو عقلية أو جمعا بينهما، والغالب المستعمل في القرآن الاستدلال العقلي، لأنّ العقل مناط التكليف، قال الشاطبي: "الأدلة الشرعية ضربان:

أحدهما: أن يكون على طريقة البرهان العقلي؛ فيستدل به على المطلوب الذي جعل دليلاً عليه، وكأنه تعليم للأمة كيف يستدلون على المخالفين، وهو في أول الأمر موضوعٌ لذلك، ويدخل هنا جميع البراهين العقلية وما جرى مجراها؛ كقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾<sup>1</sup> 2

وغلبة الحق وزهوق الباطل هو الغرض الأسمى من الجدل القرآني، وهو مقصد من مقاصد السور في أغلبها، ولذا الاستدلال على الحق هو أهم ركن في الجدل القرآني ليحصل الإقناع للمعارض، ويدحض دليل الناقض، والخصوم التي جادلها القرآن اشتركت في وجه المعارضة، وافتقرت في دليل المناقضة، كالمشركين، وأهل الكتاب والمنافقين، ومن استنّ بسنتهم من بعدهم، وما دام هذا القرآن عربي اللسان والبيئة لم يخرج عن أصول الاستدلال والمخاطبة، فامتاز بميزات، قال السيوطي: "قد اشتمل القرآن العظيم على جميع أنواع البراهين والأدلة وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحذير يبنى من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله قد نطق به لکن أوردته على عادة العرب دون دقائق طرق المتكلمين لأمرين:

أحدهما: بسبب ما قاله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾<sup>3</sup>

والثاني: أن المائل إلى طريق المحااجة هو العاجز عن إقامة الحجة بالجليل من الكلام، فإن من استطاع أن يفهم بالأوضح الذي يفهمه الأكثرون لم ينحط إلى الأعمض الذي لا يعرفه إلا الأقلون،

<sup>1</sup> سورة الأنبياء: 22

<sup>2</sup> الشاطبي - الموافقات - ج3 - ص: 247

<sup>3</sup> سورة إبراهيم 04



## محاضرات في علوم القرآن الكريم

وَالْأَخْذُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى إِمَّا بِوَحْيٍ وَإِرْسَالِ رَسُولٍ أَوْ سَمَاعِ كَلَامِهِ وَمُشَاهَدَةِ تَلْقَائِي ذَلِكَ عَنْهُ وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْنَاكُمْ اللَّهُ بِهَذَا ﴾<sup>1</sup>.

أي: هذا تناقض منهم، إذا الخلق خلق الله، فإمّا احتمال أن يكون الصنف الأول حراما أو الثاني حراما أو معا، وهذا كله منفي عندهم، فثبت افتراؤهم، فبطلت دعواهم بيطان هذه الأوصاف، وهو ادعاء دون دليل، وقد قال تعالى في حقهم: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتَكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَفْتُرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾<sup>2</sup>.

ب/ الاستفهام التقريبي<sup>3</sup>:

والاستفهام وقع كثيرا في القرآن الكريم بأنواعه، وله أغراضه، والمستعمل في الجدل غرضه الأخذ بالمقدمات للوصول إلى النّهيات، وهي الانقياد والتسليم، قال الأملعي: " وهذا النوع من أحسن جدل القرآن بالبرهان، فإنّ الجدل إمّا يشترط فيه أن يسلم الخصم بالمقدمات، أو أن تكون بيّنة معروفة، فإذا كانت بيّنة معروفة كانت برهانية"، ومن الأمثلة عن ذلك، قوله تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلِيقُ الْعَلِيمُ ﴾<sup>4</sup>، وقوله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أَمْ خُلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصِيطِرُونَ ﴾<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> السيوطي - الإتيان في علوم القرآن - ج4 - ص: 64

<sup>2</sup> سورة النحل 116

<sup>3</sup> زاهر عواض الأملعي - مناهج الجدل في القرآن الكريم - ص: 77

<sup>4</sup> سورة يس 81

<sup>5</sup> سورة الطور 35

<sup>6</sup> زاهر عواض الأملعي - مناهج الجدل في القرآن الكريم - ص: 77

وذلك بأن يُسَلَّمَ بَعْضَ مُقَدِّمَاتِهِ حَيْثُ يُرَادُ تَبَكِّيْتُهُ وَالزَّامَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَنِ مَبِينٍ ﴾<sup>2</sup>، فالرسل ذهبوا مذهب الخصم، فاعترفوا لهم بأنهم رسل مثلهم، ولكن يمن الله على من يشاء بالاصطفاء، وأما طلبكم فلن يكون إلا بوحى من عند الله، وهذا دليل الإرسال<sup>3</sup>، قال تعالى: ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَنِ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾<sup>4</sup>.

د/ قياس الخلف<sup>5</sup>.

وهذا قد نسميه أيضا برهان التناقض، وهو دليل على وحدانية الله تعالى، وهو تمانع في حال وجود إلهين اثنين، قال تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهِةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾<sup>6</sup>، وما دام هذا الكون يجري بنظام لا اختلال فيه، دلّ على وجود إله واحد، " وذلك أنّ النقيضين لا يجتمعان، ولا يخلو المحلّ من أحدهما، كالمقابلة بين الوجود والعدم"<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> السيوطي - الإتيان في علوم القرآن - ج4 - ص66

<sup>2</sup> سورة إبراهيم 10

<sup>3</sup> ينظر: السيوطي - الإتيان في علوم القرآن - ج4 - ص66

<sup>4</sup> سورة إبراهيم 11

<sup>5</sup> زاهر عواض الأملعي - مناهج الجدل في القرآن الكريم - ص: 78

<sup>6</sup> سورة الأنبياء 23

<sup>7</sup> زاهر عواض الأملعي - مناهج الجدل في القرآن الكريم - ص: 79

## محاضرات في علوم القرآن الكريم

ه/الانتقال: و أَنَّ يَنْتَقِلَ الْمُسْتَدِلُّ إِلَى اسْتِدْلَالٍ غَيْرِ الَّذِي كَانَ آخِذًا فِيهِ لِكَوْنِ الْخَصْمِ لَمْ يَفْهَمْ وَجْهَهُ الدَّلَالَةَ مِنَ الْأَوَّلِ كَمَا جَاءَ فِي مُنَازَرَةِ الْحَلِيلِ الْجَبَّارِ<sup>1</sup> لَمَّا قَالَ لَهُ: ﴿رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾<sup>2</sup>.

أي: أنّ الانتقال من استدلال إلى استدلال آخر في حالة عدم فهم وجه موضوع الجدل، وهنا إبراهيم انتقل من الحجاج في الإحياء والإماتة التي اختص بها الله، والتي إذا عرفها الناس سلّموا للمعاد المرتجى، عن الإحياء والإماتة القاصرة على فهم سقيم، فغيّر الاستدلال إلى الإتيان بالشمس من المشرق إلى المغرب، حتى يسلم الخصم، لأنّه لو ادّعى ذلك، لقال له إبراهيم عليه السلام آت بها الآن، وهذا مستبعد، ولذا بهت الذي كفر، وهذا أراه أحسن مناهج الجدل، وإن كان الاستدلال وتنويعه يتطلبه المقام والحال.

والاستدلال القرآني أنواعه كثيرة ذكر بعضها الطوفي والسيوطي، والباحث زاهر عواض الألمعي، فليرجع إليهم.

### 5/خصائص الجدل القرآني:

المعلوم أنّ القرآن الكريم منتهى الكلام فيه على إعجازه، وهو الذي يستمدّ منه قوة تأثيره على النفوس والعقول، والإعجاز رأس الأمر فيه لغته وبيانه، ومنه أسلوبه في التحدي، سردا للحجج، إبقاء على الأصل - الإعجاز -، وسبيل ذلك في الجدل مع المخالفين له، والصادقين عن سبيله القويم، ومما تميّز به أسلوبه الجدلي:

أ/ قوّة الحجّة ووضوح المحجّة<sup>3</sup>: وهذا أظهر وأبين للمتدبّر في كتاب الله، في جداله للمشركين والمنافقين وأهل الكتاب، فقوّة الحجّة هي عين التبيكيت، ووضوح المحجّة هي غاية الانقياد والتسليم

<sup>1</sup>السيوطي - الإتيان في علوم القرآن - ج4 - ص65

<sup>2</sup>سورة البقرة 258

<sup>3</sup>عثمان علي حسن - الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد - دار إشبيلية - الرياض - السعودية - ط1 - 1420 - 1999م -

ج1 - ص: 381

## محاضرات في علوم القرآن الكريم

له، ثبوت الطرح من بداية الجدل إلى نهايته، لا اضطراب ولا دوران، وهذا فارق بينه وبين كلام  
البشر. قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ  
حَكِيمٍ حَمِيدٍ<sup>1</sup> .

### ب/ التدرّج والتنوع في المجادلة :

ومّا امتاز به القرآن الكريم في المناظرة أنّه يتدرّج في تقرير موضع الجدل، ليأخذ بالخصم فلا يفلته،  
فينطلق من المقدمات، فيجاري فيه الخصم أو يأخذ بلازم كلامه، ثمّ يفتك بحججه، وينوع من أساليبه  
الجدالية، وإن كان الموضوع واحداً، وسنضرب مثالا في الاستدلال على البعث والمعاد فيما يأتي.

### ج/ التركيز على العقل في الجدل:

فالعقل هو جوهر العملية الجدالية، فهناك قوانين لا يمكن التنازع فيها ولا الاختلاف، كإلحاق الفرع  
بأصله، وجمع المتناقضين، وجمع التماثلات، ولهذا ذمّ الله الذين يجادلون في الله بغير حجة، لا من  
كتاب ناطق، ولا من عقل صادق<sup>2</sup>، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجْدِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا  
هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ<sup>3</sup> .

وهذا الأسلوب جادل به إبراهيم نفسه في حوارها معها، وقومه وأبيه، و الملك الجبار في وقته، وأثبت  
به قرعه لمن حاججهم.

### د/سُمُو ثمرة مقام الجدل القرآني:

وأجدر بالقرآن الكريم في مقاماته الدعوية والجدالية، فلا ثمرة غير ثمرة الهداية ، وإن تضمن التبكيت

<sup>1</sup> سورة فصلت 42

<sup>2</sup> عثمان علي حسن- الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد -ج1- ص:392

<sup>3</sup> سورة الحج 08

## محاضرات في علوم القرآن الكريم

وإفحام الخصوم، وهذا من كمال التنزيه الإلهي، إذ التفرد جارٍ في كلِّ الأحوال، وهذا الفارق بينه وبين الجدل البشري، إذ لا تموت فيه الحظوظ النفسية، وإن لم تنطق به الأفواه، وما وقفت عليه من آيات الجدل من أغراض إلا ولها علاقة بخدمة مقاصد الكتاب الكبرى، وأهمّها التعريف بالخالق والدعوة إليه، وإقرار الرسالات بالإيمان بالرسول، وأحوال الآخرة ومقتضياتها.

### 6/ الاستدلال القرآني على المعاد الجسماني:

جادل القرآن الكريم المشركين وأهل الكتاب والمنافقين وغيرهم، واتَّخذ مع كلِّ طائفة منهم منهجا جدليا راعى فيه بيئة الخطاب وأحوال الخطاب ومقاماته، إذ من كانوا أصحاب كتاب ارتقى معهم الجدل وفق ما أثر عن جدال أنبيائهم في زمن سابق لعهد النبوة، فكان غالبه جدال وحي منزل، والمنافقون يصبحون مع المسلمين ويمسون مع أوليائهم من الشياطين، فكان جدالهم جدال فضح وكشف، أما المشركون المكيون فلبسوا الحق بباطل الخرافات والاعتقادات الفاسدة، فكان الجدل جدال قرع عقلي ليناسب أحوال تفكيرهم، ومن المسائل التي شدّت عقولهم مسألة البعث، فكان القرآن الكريم يسندل ثوب الحجّة على مزاعمهم في كلِّ مرة، فكان منهجا فريدا في الاستدلال على البعث والمعاد. ومن هذه الضروب:

### أ/ التذكير بالإخراج من العدم إلى الوجود:

في قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا <sup>1</sup> ، ومثله في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ <sup>2</sup> ، المرادُ ها هنا أبي بن خلفٍ. وقيل العاص بن وائل <sup>3</sup> ، وهذا أهون لو كانوا يعقلون،

<sup>1</sup> سورة مريم 66

<sup>2</sup> سورة النحل 04

<sup>3</sup> أبو الفرج ناصر الدين بن الحنبلي - استخراج الجدل من القرآن الكريم - ص: 91

## محاضرات في علوم القرآن الكريم

فالإشارة إلى الإيجاد من العدم أجدر بالسؤال من الإخراج بعد الإيجاد، وهي حجة منطقية للاستدلال على القدرة الإلهية أكثر من سابقتها المطروحة.

### ب/ قياس إعادة على خلق السموات والأرض بطريق أولى<sup>1</sup>:

وهذا يسمّى استدلالاً مع الفارق، وهو أنّ العقل يسلم لاندرج الأصغر داخل الأكبر، وهذا من مقتضيات الشدّ العقلي، وهو مناسب لبيئة الخطاب، أي: بالنظر لما يحيط بهم، فالأرض لهم وطاء والسماء لهم غطاء، وأنفسهم أولى بقياس النظر والتدبر ، قال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾<sup>2</sup>، فالأولى أن يعنوا النظر في خلق السموات والأرض، فتخبت عقولهم لقدرة الله، فيكون خلق الأصغر - الناس - أهون في إعادة مرات ومرات. قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾<sup>3</sup>.

### ج/ قياس إعادة على إحياء الأرض بعد موتها<sup>4</sup>:

وهذا الدليل هو أقيس الأدلة وسيّد البراهين التي استعملها القرآن الكريم في التدليل على المعاد والبعث، وهو واقع في مواطن كثيرة من سور القرآن، وهو أبلغ في التأثير، وأكثّر أنّ القرآن يراعي حال المخاطب، فالجدال يحتاج إلى أرض خصبة ليؤتي أكله، فالعرب أكثرهم رعاة، وقليلهم تجار، والبحث عن الكالأ لدواهم شغلهم الشاغل، وهذا أسلوب فريد للقرآن في ضرب الأمثال وإعطاء صور من واقع الناس المعاش، فالله ضرب مثل إعادة الإحياء بعد الموت بإحيائها بعد الجذب ، قال تعالى: ﴿اللَّهُ

<sup>1</sup> السيوطي - الإتيان في علوم القرآن - ج4 - ص62

<sup>2</sup> سورة يس 81

<sup>3</sup> سورة الروم 27

<sup>4</sup> السيوطي - الإتيان في علوم القرآن - ج4 - ص62

الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ  
يَخْرُجُ مِنْ خَلِيلِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مِنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ  
أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ فَاَنْظُرْ إِلَىٰ ءَاثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ  
ذَلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ<sup>1</sup>.

د/ قياس الإعادة على إخراج الحي من الميت والميت من الحي

وهذا ما أشار إليه سبحانه وتعالى في سورة "يس" بقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ  
نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ  
يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا  
أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ<sup>2</sup>﴾.

وهذا الاستدلال تابع للاستدلال الأول، وهو أنّها نزلت في أبي بن خلف وقيل العاص بن وائل،  
فالإشارة إلى إحيائها مرة أخرى لأنه موجدتها ابتداء استدلال أول، والثاني الذي نقصده في هذا  
الموضع تتمّة الآية، فأشار الله إلى الشجر الأخضر، قال أبو الفرج الجنبلي: "إيجاد شيءٍ ممّا ينافيه  
وينافره، فلا بدّ من قوّة من خارج تغلب على المتنافرين المتنافيين بفعل ذلك"<sup>3</sup>، أي: معناه: كيف  
تستبعد عقولكم الإعادة الإحياء بعد الإماتة، وعندكم دليل لم تتفكروا فيه وأنتم تقيمون عليه  
موائدكم، وهو أنّ الشجر يكون أخضرا فيصيره الله يابساً، والعكس، فأنتي تؤفكون.

وهذا الذي ذكرته في الاستدلال على المعاد أهمّ ما استأثرت وروده في الباب، ولو استزدت  
التفتيش في أي الكتاب لزدك، ومع هذا أقرّ القرآن الكريم إنكارهم وعتوهم، استكبارا وعلواً وعجبا،

<sup>1</sup> سورة فصلت 39

<sup>2</sup> سورة يس 78-79

<sup>3</sup> أبو الفرج ناصر الدين بن الجنبلي - استخراج الجدال من القرآن الكريم - ص: 92

والعجب من قولهم، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ تَعْجَبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَيْنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ  
أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا

خَالِدُونَ<sup>1</sup>، ولم يكن لمنكرٍ شبهةٍ إلا مجرد تعجب واستبعاد ، لأنَّ العجب ما ندر وجوده وخفي

سببه، وليس هذا ممَّا ندر وهم يشاهدون إحياء الأرض بعد موتها واكتساء الأشجار بعد عُريها، وعود

النهار بعد زواله والليل بعد ذهابه، وإخراج الحي من الميت والميت من الحي ولا ممَّا خفي سببه، فإنَّ

الله سبحانه هو الفاعل لذلك ، والمخترع له والقادر عليه، وحكمته إظهار ما استتر عن خلقه من

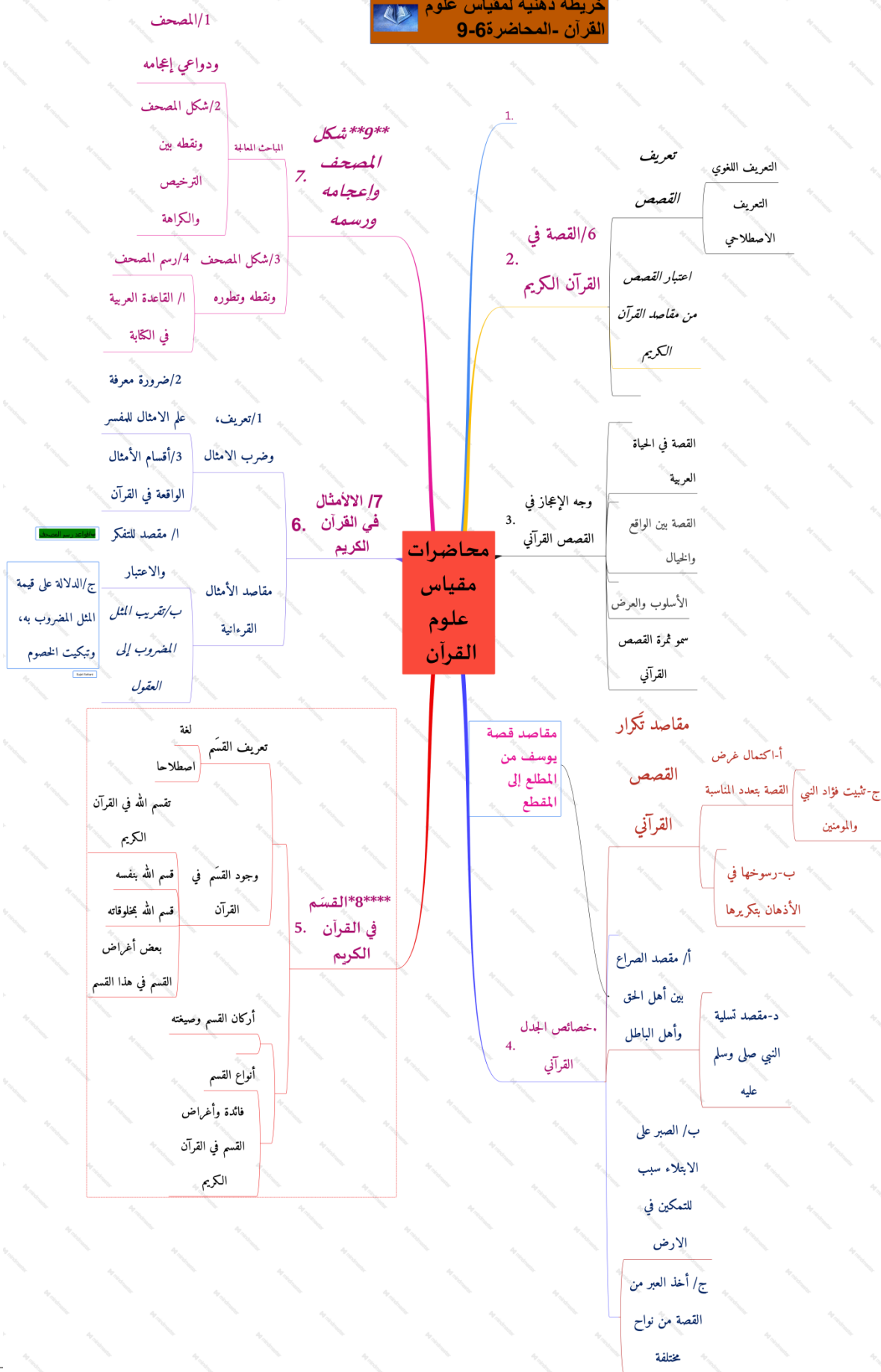
تدبيره، وما النشأة الثانية بأعجب من الأولى<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> سورة الرعد 05

<sup>2</sup> أبو الفرج ناصر الدين بن الحنبلي - استخراج الجدل من القرآن الكريم - ص: 98

# محاضرات في علوم القرآن الكريم

خريطة ذهنية لمقياس علوم القرآن - المحاضرة 6-9





## المحاضرة السادسة: القصة في القرآن الكريم

القرآن الكريم تظهر أوجه الإعجاز فيه في كلّ موضوع تحدّث عنه، فأتى على حدوده وأطرافه فاستوعبها وشملها، فسدّ بذلك فم كلّ طاعن، وأورده بأسلوب مغاير للمألوف، فأفسد لسان كلّ مفترّ مؤمن، وموضوع القصص ما يشدّ عقل المتدبّر، فخرج به القرآن من بيئة الخطاب وعهد الأُميين، وارتقى به إلى مقصد المتدبّرين المتفكرين، فما وجه الإعجاز في القصص القرآني، وما هي مقاصده؟

### 1/ تعريف القصص:

القصص واحده قصة، وهو بالفتح والكسر، قال ابن منظور: "والقصة: الخبر وهو القصص. وقصّ عليّ خبره يقصّه قصّاً وقصصاً: أوردّه. والقصص: الخبر المخصوص، بالفتح، ووضِع موضع المصدرِ حتّى صارَ أغلبَ عليه. والقصص، بكسر القاف: جمع القصة التي تُكتب<sup>1</sup>".

قال الفخر الرازي: "القصصُ إتياعُ الخبرِ بعُضه بَعْضًا ، وَأصلُهُ فِي اللُّغَةِ الْمُتَابَعَةُ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّهِ ﴾ [القصص: 11] ، أَي: اتَّبِعِي أثرَهُ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ فَأَرْتَدَّ عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ [الكهف: 64] ، أَي: اتَّبَاعًا وَإِتْمًا سُمِّيَتْ الْحِكَايَةُ قَصَصًا ، لِأَنَّ الَّذِي يَقُصُّ الْحَدِيثَ يَدْكُرُ تِلْكَ الْقِصَّةَ شَيْئًا فَشَيْئًا<sup>2</sup> .

ب/ القصة في الاصطلاح: لها تعاريف كثيرة كلّها متقاربة منها:

• تعريف الرازي: "والقصص هو مجموع الكلام المشتمل على ما يهدي إلى الدين، ويرشد إلى

<sup>1</sup> ابن منظور- لسان العرب- ج7- ص: 47- مادة [قص]

<sup>2</sup> الفخر الرازي- مفاتيح الغيب- ج18- ص: 417

- تعريف محمد الطاهر بن عاشور: " الْقِصَّةُ: الْحَبْرُ عَنِ حَادِثَةٍ غَائِبَةٍ عَنِ الْمُخْبِرِ بِهَا، فَلَيْسَ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنْ ذِكْرِ الْأَحْوَالِ الْحَاضِرَةِ فِي زَمَنِ نُزُولِهِ قَصَصًا مِثْلَ ذِكْرِ وَقَائِعِ الْمُسْلِمِينَ مَعَ عَدُوِّهِمْ<sup>2</sup> .

والفرق بين التعريفين أنّ ابن عاشور جعل الزمن شرطاً في القصص ، اعتباراً لمعنى التتبع، بعكس الفخر الرازي، فكلّ ما يتّعظ به الإنسان وينجيه من الكلام في الماضي أو الحاضر أو المستقبل كالغيبات يعدّ من القصص.

## 2/ اعتبار القصص من مقاصد القرآن الكريم:

ومقاصد القرآن الكريم هي محاوره الكبرى التي جاء القرآن ليحققها إيماناً وعملاً، كالعقيدة، وفيها الإلهيات والنبوات، والأحكام، والتزكية، والمبعث والنشور، ومنها القصص القرآني، فقد أخذ القصص جزءاً مهمّاً من القرآن الكريم في سورة، دلّ بمفهومه ومنطوقه أنّ القصص من مقاصده، وكيف وهو خادم للمقصد الإلهيات والنبوات، والخلف في هل هو مقصد أصل أو تابع ليس له كبير فائدة ما دام أنّ العبرة بالثمر لا بالزهر. ومن الأدلّة على مقصديته:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا هُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ<sup>3</sup>﴾

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ<sup>4</sup>﴾

<sup>1</sup> المصدر السابق - ج8 - ص: 250

<sup>2</sup> الطاهر بن عاشور - التحرير والتنوير - ج1 - ص: 64

<sup>3</sup> سورة آل عمران 62

<sup>4</sup> سورة الأعراف 176

وقوله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ ﴾<sup>1</sup>، وقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى ﴾<sup>2</sup>

والآيات بمجموعها تدلّ على أنّ القصص القرآني من مقاصده، إذ هو وجه من أوجه إعجاز القرآن، وسنبيّن ذلك فيما يأتي، وللعلماء الذين كتبوا في مقاصد القرآن إشارة إلى مقصد القصص، منهم.

## 1.2/ أبو حامد الغزالي:

أبو حامد الغزالي من المقعّدين لمقاصد القرآن ومقاصد الشريعة على اعتبار التأليف استقلالاً، وإلاّ عددنا الأحكام الشرعية جزءاً من مقاصد القرآن الكبرى، والغزالي قسّم مقاصد القرآن إلى ستّة أقسام ثلاثة مهمة وثلاثة مغنية متممة<sup>3</sup>، وجعل القصص ضمن الثلاثة المتّمة، قال: " وأما الثلاثة المغنيّة المتّمة:

- فأحدها: تعريف أحوال المحييين للدعوة ولطائف صنع الله فيهم؛ وسرّه ومقصوده التشويق والترغيب، وتعريف أحوال النّاكبين والنّاكلين عن الإجابة وكيفية قمع الله لهم وتنكيلهم؛ وسرّه ومقصوده الاعتبار والترهيب.

وثانيها: حكاية أحوال الجاحدين، وكشف فضائحهم وجهلهم بالمجادلة والمجادّة على الحق، وسرّه ومقصوده في جنب الباطل الإفضاح والتّنفير، وفي جنب الحق الإيضاح والتّثبيت والتّفهير"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> سورة يوسف 3

<sup>2</sup> سورة يوسف 111

<sup>3</sup> للاستزادة والتوسع، يراجع، أبو حامد الغزالي - جواهر القرآن - تح: محمد رشيد رضا القباني - دار إحياء العلوم - بيروت - ط2-

1406-1986م - ص: 23-24

<sup>4</sup> المصدر نفسه - ص: 23-24

## محاضرات في علوم القرآن الكريم

وهذا الذي أشار إليه من أحوال المجيبين والمجاهدين هو ضمن القصص القرآني، فهو بين أحوال الفريقين، والصراع القائم بين أهل الحقّ والباطل، وعاقبة كلّ فريق منهم، ولذا قال في شرحه لها: "أما أحوال السّالّكين: فهي قصصُ الأنبياء والأولياء، كقصّة آدمَ ونوح، وإبراهيمَ وموسى وهارون، وزكرياء ويحيى.... وأما أحوال الجاهدين والنّاكبين: فهي كقصصِ نمرودَ وفرعون، وعادٍ وقومِ لوط، وقومِ تُبّع، وأصحابِ الأيكة، وكفارِ مَكّة"<sup>1</sup>.

### 2.2/ جلال الدين السيوطي:

والسيوطي أشار إلى مقصد القصص في سياق حديثه عن مقاصد سورة الفاتحة، وأورد أنّ العلوم التي احتوى عليها القرآن وقامت بها الأديان أربعة، وفصل في التقسيم بعدد آي الفاتحة، فقال: "وَعِلْمُ الْقِصَصِ وَهُوَ الْإِطْلَاقُ عَلَى أَخْبَارِ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ وَالْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ لِيَعْلَمَ الْمُطَّلِعُ عَلَى ذَلِكَ سَعَادَةَ مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ وَشَقَاوَةَ مَنْ عَصَاهُ وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، فَنَبَّهَ فِي الْفَاتِحَةِ عَلَى جَمِيعِ مَقَاصِدِ الْقُرْآنِ"<sup>2</sup>.

### 2.3/ محمد الطاهر بن عاشور:

يعتبر محمد الطاهر بن عاشور من المجدّدين في علم المقاصد الشرعية، ضبطا لطرق استنباطها، وكيفية الكشف عنها، وآفاق البحث فيها، والذي يهمنّا هو تقسيمه لمقاصد القرآن، فقد اعتبر القصص من مقاصده الكبرى، والمطلع على مقدّمة تفسيره يظهر له الأسرار التي التمسها لمقصد القصص، قال في تقسيمه: "الخامس: الْقِصَصُ وَأَخْبَارُ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ لِلتَّأْسِي بِصَالِحِ أَحْوَالِهِمْ قَالَ: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقِصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾

<sup>1</sup> أبو حامد الغزالي - جواهر القرآن - ص: 31

<sup>2</sup> السيوطي - الإتيقان في علوم القرآن - ج3 - ص: 364

## محاضرات في علوم القرآن الكريم

، وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَمُهُمْ أُقْبِتَهُمْ﴾<sup>1</sup>، وَلِلَّتَّحْذِيرِ مِنْ مَسْأَوِيهِمْ ، قَالَ: ﴿وَتَبِينَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾<sup>2</sup> 3.

### 3/ وجه الإعجاز في القصص القرآني:

القرآن الكريم يظهر إعجازه في القصص القرآني من حيث مقصد القصة الواردة وثمرتها، وكيفية سرد موضوع القصة، والعناصر القائمة عليها، وتكرار القصة في سور كثيرة، والسؤال المتبادر، هل العرب عرفت القصص من قبل؟ و ما الذي تفرّد به القرآن في عرض القصص، الذي هو سرّ الإعجاز فيه؟

### أ/ القصة في الحياة العربية<sup>4</sup>:

معرفة القصة في الحياة العربية يُعيننا على إدراك سرّ الإعجاز في القصص القرآني، لأنّ القرآن بينه وبين بيئة الخطاب رحم ماسّة<sup>5</sup>، وهذا دالّ بمفهومه على أنّ العرب عرفت القصص من قبل، سواء ما كان من أيامها، أو ما تلقفته من أهل الكتاب والقرون السالفة لها.

يقول عبد الكريم الخطيب: " فإنّ حياة الأمة العربية كانت قصة طويلة مثيرة، في صراعها العنيف المرير مع الحياة ومطالب العيش من جهة ، وفي صراعها الدامي المتّصل فيما بين أفرادها وجماعاتها من جهة أخرى"<sup>6</sup>

وخطب العرب فيما أثر عنها، ومساجلاتهم من شعر ونثر دوّنت قصصهم الأصيلة والدخيلة، إذ

تعدّ القصة جزءا من الحياة البشرية، فسجلوا استقرارهم وترحالهم، وسلّمهم ونفارهم، والأباطيل

<sup>1</sup> سورة الأنعام 90

<sup>2</sup> سورة إبراهيم 45

<sup>3</sup> ابن عاشور- التحرير والتنوير- ج1- ص: 41.

<sup>4</sup> عبد الكريم الخطيب- القصص القرآني في منطوقه ومفهومه- دار المعرفة- بيروت- لبنان- ط2- 1395هـ- 1975م- ص: 13

<sup>5</sup> المرجع نفسه- ص: 13

<sup>6</sup> المرجع نفسه- ص: 15

## محاضرات في علوم القرآن الكريم

كالغول والعنقاء، ولكن وجه الإعجاز يظهر في عناصر القصة وغايتها. ومنها:

### ب/ القصة بين الواقع والخيال:

القصة والخبر المقصوص في القرآن الكريم كله صدق وحقّ، ونسميه حقيقة؛ لأنه طابق الواقع نقلاً وعقلاً، ولو كان مفترى كما زعم بعض المتكبرين عن الحق من المشركين، لعارضه من أثبت أقوالهم القرآن في ردوده عليهم وهم من رؤوس الشرك، ومن أهل الكتاب، فلم يزد القرآن عملاً افتروه، وبما وصفوا به أنبياءهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾<sup>1</sup>، قال الرازي في تفسيره: "فَبَيَّنَّ تَعَالَى أَنَّ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى نَبِيِّهِ هُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ لِيَكُونَ عَلَى ثِقَّةٍ مِنْ أَمْرِهِ، وَالْخَطَابُ وَإِنْ كَانَ مَعَهُ فَالْمُرَادُ بِهِ الْكُلُّ"<sup>2</sup>.

فأنت ترى كيف جعل الله وصف الحقّ ملازماً للخبر المقصوص، وهذا ينطبق على كلّ قصة وخبر في القرآن الكريم، لأنّ التنازع هو بين الحق والباطل، ولا يغلب الحقّ الباطل، إلا إذا كان هذا الوصف في كلّ موضوعات القرآن الكريم، والقرآن وإن لم يكن كتاب تاريخ، سجّل صدق الزمان والمكان والأحداث، أمّا القصة العربية والأخبار، ففيها ما هو حقّ وما هو باطل ومنها نسج خيال، وفيها الادّعاء بالزيادة على الحق نفسه، وهذا هو الفارق بين كلام الله وغيره.

### ج/ الأسلوب والعرض

وهذا ما راعى فيه القرآن بلاغة القوم من جهة، وتفنّن فيه من جهة أخرى، فعرض القصة بأسلوب موجز بعيد عمّا تمجّه الآذان من إطناب، فاقصر فيه على المهمّ ليصل إلى الأهمّ، وتفرد في سموّ أسلوب العرض بحيث لا يسأم السامع، فيشدّ ذهنه تسلسل الوقائع والأحداث، وهذا وصف آخر للكتاب قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ

<sup>1</sup> سورة آل عمران 62

<sup>2</sup> الرازي - مفاتيح الغيب - ج8 - ص: 250

## محاضرات في علوم القرآن الكريم

وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْعَافِينَ ﴿١﴾ . قال الزمخشري: " والمراد بأحسن الاقتصاص: أنه اقتصر على أبداع طريقة وأعجب أسلوب. ألا ترى أن هذا الحديث مقتص في كتب الأولين وفي كتب التواريخ، ولا ترى اقتصاصه في كتاب منها مقارناً لاقتصاصه في القرآن. وإن أريد بالقصص المقصوص، فمعناه: نحن نقص عليك أحسن ما يقص من الأحاديث، وإنما كان أحسنه لما يتضمن من العبر والنكت والحكم والعجائب التي ليست في غيرها" <sup>2</sup>.

وهذا له ارتباط بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ﴿٣﴾﴾ ، فالكل! من مشكاة واحدة، أما القصة العربية، فحملت الصحيح والسقيم، ولم يقتصر فيها على الأهم، لأن مقصودهم هو ذاتي، نزعة عرق، أو قبيلة أو نفس.

### د/ سمو ثمرة وغاية القصص القرآني:

وهذا وصف آخر للقصص القرآني، وهو قوله تعالى: ﴿فَأَقْصِبْ قَصَصَ الْقَصَصِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤﴾﴾ ، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٥﴾ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾ <sup>5</sup>

أي: أن الغاية من القصص ليس التفكك به، ولا الاستئناس، وإنما ساقه الله مساق العبر والتفكر في أحوال المقصوص خبرهم، قال الزمخشري في تفسير آية الأعراف السابقة: " لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ فيحذرون مثل عاقبته، إذ ساروا نحو سيرته، وزاغوا شبه زيغته، ويعلمون أنك علمته من جهة الوحي فيزدادوا إيقاناً بك وتزداد الحجة لزوماً لهم" <sup>6</sup>.

<sup>1</sup> سورة يوسف 03

<sup>2</sup> الزمخشري أبو القاسم - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل - دار الكتاب العربي - بيروت - ط3 - 1407هـ - ج2 - ص: 441

<sup>3</sup> سورة الزمر 23

<sup>4</sup> سورة الأعراف 167

<sup>5</sup> سورة يوسف 111

<sup>6</sup> الزمخشري - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل - ج2 - ص: 179

## محاضرات في علوم القرآن الكريم

وقال القرطبي في تفسير آية يوسف: " (عِبْرَةٌ) أَي : فِكْرَةٌ وَتَذَكْرَةٌ وَعِظَةٌ. (لأولي الألباب) أَي: العُقُول" <sup>1</sup>

أمّا القصة عند العرب أو أهل الكتاب، فالمقصود منها التفكّه غالباً والاستئناس، إذ الغاية القصوى تقديس صاحب القصة، وهذا ليس مقصوداً في القرآن، اللهمّ إلا ما كان دفاعاً عن الأنبياء، لأنّهم مرسلون، وهذا إثبات للنبوة، ولذلك اختار القرآن الكريم من القصّة أجزؤها، وأقواها دلالة على الغاية، وترفع عن ما ليس فيه عائدة جليّة، ولك في سورة الكهف خير مثال، فلم يذكر لون الكلب ولا صفات الكهف ولا الفتية، لأنّ الغاية هي قوله تعالى: ﴿لَنْ نَقُصَّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ <sup>2</sup>.

### 4/ من مقاصد القصص القرآني:

وإذا قلنا أنّ القصص القرآني له فوائد جمّة للفرد والأمة، فلك أن تقف على هذه الفوائد استنباطاً وتدبّراً في عواقب القصة في السورة الواحدة، أو في تكرارها، وسنبيّن فيما يأتي أسرار التكرار للقصص، ومن الذين أبانوا عن مقاصد القصص القرآني، محمد الطاهر بن عاشور في تفسيره، فقد أجاد وأفاد، وسأذكر بعض الفوائد، ثمّ أشير إلى ذلك من التحرير والتنوير.

### 1.4/ التعريف بالحق وأهله وبالباطل وحزبه:

وهذا مقصد عامّ للقصص القرآني، فكلّ ما يأتي بعده هو خادم له، ومن تدبّر سياق القصص وقف على هذا الصراع، وقد جمع الله تعالى وأشار إليه بقوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرَقَ بَكُمُ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ <sup>3</sup>. فقد أبان الله عن

<sup>1</sup> القرطبي أبو عبد الله - الجامع لأحكام القرآن - تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش - دار الكتب المصرية - القاهرة - ط2 - 1384هـ - 1964م - ج9 - ص: 277

<sup>2</sup> سورة الكهف 13

<sup>3</sup> سورة الأنعام 153

## محاضرات في علوم القرآن الكريم

عاقبة كل فريق منهم، وكيف يؤيد الله وينصر من ينصر الحق ويخذل الباطل وأهله، وهذا ذكره ابن عاشور فقال: "مَعْرِفَةُ أَنَّ قُوَّةَ اللَّهِ تَعَالَى فَوْقَ كُلِّ قُوَّةٍ، وَأَنَّ اللَّهَ يَنْصُرُ مَنْ يَنْصُرُهُ، وَأَنَّهُمْ إِنْ أَخَذُوا بِوَسِيلَتِي الْبَقَاءِ: مِنَ الْإِسْتِعْدَادِ وَالْإِعْتِمَادِ سَلِمُوا مِنْ تَسَلُّطِ غَيْرِهِمْ عَلَيْهِمْ. وَذَكَرَ الْعَوَاقِبِ الصَّالِحَةِ لِأَهْلِ الْخَيْرِ"<sup>1</sup>.

وهذا يجمع قصص الأنبياء كلهم في صراعاتهم مع أقوامهم، وما حكاها الله عن الصالحين من عباده مع الطغاة والمتجبرين، كقصة مؤمن آل فرعون، وفتية الكهف.

### 2.4/ النظر في السنن الكونية للاعتبار والاستبصار:

وهذا مقصد مكمل للأول وهو يخص الفرد والأمة على العموم، فمتى أخذت بسبل التمكين والنصرة، نصرها الله وأعطيت حق الخلافة الشرعي، ومتى خذلت دينها وأهل الحق منها، خذلها الله، وسلط عليها الذل والهوان، وتمالاً عليها أهل الباطل، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾<sup>2</sup>، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾<sup>3</sup>، وكذلك الفرد متى أخذنا بأسباب تزكية النفس، أفلح، ومتى أهملها وغفل عنها، خاب وخسر قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾<sup>4</sup>، وهذا أشار إليه الطاهر بن عاشور بقوله: "ما في القصص من فائدة التاريخ من معرفة ترتب المسببات على أسبابها في الخير

<sup>1</sup> الطاهر بن عاشور - التحرير والتنوير - ج1 - ص: 68

<sup>2</sup> سورة النور 55

<sup>3</sup> سورة الأنبياء 105

<sup>4</sup> سورة الشمس 10

## محاضرات في علوم القرآن الكريم

وَالشَّرِّ وَالتَّعْمِيرِ وَالتَّخْرِيبِ لِتُقْتَدِيَ الْأُمَّةُ وَتَحْدَرَ ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا ﴾<sup>1</sup> ، وَمَا فِيهَا مِنْ فَائِدَةٍ ظُهُورِ الْمُثَلِّ الْعُلْيَا فِي الْفُضَيْلَةِ وَرِكَاءِ التُّفُوسِ أَوْ ضِدِّ ذَلِكَ<sup>2</sup> .

### ج/ تقوية جانب الأمة الإسلامية لتكون مرهوبة غير مرغوبة

وهذا في الحقيقة من نفيس ما أشار إليه محمد الطاهر بن عاشور، وهو من تدبره في القصص، وهي لطيفة من لطائفه الحسنة، قال: " أن ينشئ في المسلمین همة السعي إلى سيادة العالم كما سادته أمم من قبلهم؛ ليخرجوا من الخمول الذي كان عليه العرب إذ رضوا من العزة باغتيال بعضهم بعضاً؛ فكان منتهى السيد منهم أن يعنم صريمة، ومنتهى أمل العامي أن يزعى غنيمته، وتفاصرت هممهم عن تطلب السيادة حتى آل بهم الحال إلى أن فقدوا عزتهم فأصبحوا كالأتباع للفرس والرؤم"<sup>3</sup> .

وهذا الذي أشار إليه أرى أنه يتناسب مع صفة الاصطفاء للأمة المحمدية، فهي الأمة الحق، وما عداها على الباطل، وكيف يرضى ربنا أن يعلو أهل الباطل على أهل الحق، هذا ذل وهوان، وهو ما أشار إليه في كتابه بقوله: ﴿ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾<sup>4</sup> ، فالأمة الإسلامية حقيقة بأن تقود لا أن تُقاد، أخذنا بالأسباب، وتمسكا بالسنة والكتاب.

هذه مقاصد عامة تندرج تحتها مقاصد فرعية، وإلا فالقصص القرآني له من الفوائد والحكم ما يقصر عن حصرها في هذا الموضوع، إذ مقاصده هي تنوع بما يقتضيه الحال والمقام.

<sup>1</sup> سورة النمل 52

<sup>2</sup> الطاهر بن عاشور - التحرير والتنوير - ج1 - ص: 66

<sup>3</sup> المصدر نفسه - ج1 - ص: 67

<sup>4</sup> سورة النساء 141

القصص القرآني، كقصص الأنبياء مع أقوامهم تكررّت في مواضع من سور عديدة، وهذا لا يخرج القرآن الكريم عن فصاحته وبلاغته كما يفهمه من لم يعرف سنن العرب في كلامها، وهذا التكرار له مقاصده وغاياته المتعدّدة، ومن فهم ما قدمنا به سابقا من مقاصد القصص، لزم منه أن يفهم تكراره، إذ الغرض العام ليس التفكّه ولا الاستئناس، ولا الإطالة، فالقرآن ارتفع شأن البلاغة فيه بما ترفع عنه ممّا جرى في كلام العرب عادة، ولذا ما هي أسرار التكرار للقصص القرآني؟

وإذا علمت أنّ من سنن العرب في كلامها تكرر الكلام لمقاصد، انجلت عن ذهنك تكرر القصة في القرآن الكريم، فالخطيب المفوّه إذا كرّر نفس الموضوع بطرق مختلفة لا يعدّ عيبا عندهم، قال الباقلاني: " كذلك قد يتفاوت كلام الناس عند إعادة ذكر القصة الواحدة تفاوتاً بيناً، ويختلف اختلافاً كبيراً. ونظرنا القرآن فيما يعاد ذكره من القصة الواحدة فرأيناه غير مختلف ولا متفاوت بل هو على نهاية البلاغة وغاية البراعة. فعلمنا بذلك أنّه ممّا لا يقدر عليه البشر، لأنّ الذي يقدر على عليه قد بينا فيه التفاوت الكثير، عند التكرار وعند تباين الوجوه، واختلاف الأسباب التي يتضمّن<sup>1</sup> ".  
 وشبهة القائلين بأنّ القرآن الكريم كان له أن يورد قصة واحدة في موضع من سورة واحدة ؛ لأغنت عمّا عن البقية، فهذا نفي للحكمة ابتداء التي وصف الله بها نفسه في القرآن الكريم،  
 ووصف بها كتابه العزيز، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾<sup>2</sup>، وقوله تعالى: ﴿الرَّ كَتَبُ أَحْكَمُ آيَاتِهِ ثُمَّ فَصَّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾<sup>3</sup>،  
 ثمّ قد ترد القصة في سورة واحدة كقصة يوسف، وقد تأتي في سور مختلفة، فتتعدّد الحكم من وراء

<sup>1</sup> الباقلاني أبو بكر - إعجاز القرآن - تح: السيد أحمد صقر - دار المعارف - مصر - ط5 - 1997م - 37-38

<sup>2</sup> سورة آل عمران 62

<sup>3</sup> سورة هود 01

ذلك، ومنها:

أ/ اكتمال غرض القصة بتعدد المناسبة:

وذلك أنّ القصة الواحدة قد يكون مقصدها وغرضها واحد عام، وتندرج تحته مقاصد فرعية تخدم الغرض الأسمى، فيسوق الله تلك الأغراض وفق المناسبات الواقعة، فلا يكتمل تصوّر القصة والوصول إلى مقصودها العام إلا بتكرّرها، حتى يسهل تدبّر وفهم سياقاتها، ومثل هذا قصة موسى مع فرعون، فيحتاج المسلم إلى ما يسمى بالتفسير الموضوعي، فتجمع الآيات الواردة في القصة، ثم ترتب وفق نزولها، ليقف على منهج التدرّج في الوصول مقصد غلبة الحقّ وأهله على أهل الباطل. فكان تكرار القصص لتكرار التثبيت، فالقصة في القرآن وإن كانت في مجموعها مكررة، إنّما لقطاتها مختلفة تؤدي كلّ منها معنى لا تؤديه الأخرى. قال الشعراوي: " فالقصة في القرآن وإن كانت في مجموعها مكررة، إنّما لقطاتها مختلفة تؤدي كلّ منها معنى لا تؤديه الأخرى"<sup>1</sup>.

ب/ رسوخها في الأذهان بتكريرها<sup>2</sup>:

وهذا مألوف عند العرب أنّها تستعمل الإيجاز في مقام، والإطناب في مقام آخر، وهذا هو البلاغة، وتكرّر الكلام قصد الفهم عنها، وهذا غرض قصده القرآن، إذ لما عارضوه قالوا: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾<sup>3</sup>، فكان الغرض من إنزاله منجّما الفهم عنه، والعمل به تدرّجا، ومنه القصص إذ الغرض منه التدبّر فيه، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى ﴾<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> محمد متولي الشعراوي- تفسير الشعراوي- الخواطر- مطابع أخبار اليوم- دت- ج17-ص: 10645

<sup>2</sup> ابن عاشور- التحرير والتنوير- ج1- ص: 68

<sup>3</sup> سورة الفرقان32

<sup>4</sup> سورة يوسف111

## محاضرات في علوم القرآن الكريم

وقال تعالى: ﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾<sup>1</sup>. قال الباقلاني: " وإعادة القصص وضرب الأمثال ما ليس في المرة الواحدة ولا شبهة على أحد في تعاضد النفع بتكرير الزجر والوعظ وعظيم موقعه من النفس وتوفيقه للقلب والتثبيت على طاعة الله، والإذكار لجنته وناره"<sup>2</sup>  
ج/التثبيت لفؤاد النبي صلى وسلم عليه وللمومنين<sup>3</sup>:

وهذا مقصد أسمى من التكرار للقصص القرآني، فإن الدعوة إلى الحق والثبات عليه، تحتاج على صبر وجلّد ، فتذكير النبي صلى وسلم عليه والذين معه بقصص الأنبياء وأقوامهم، فيه دفع معنوي لهم، وهو أنّ العاقبة والنصر لهم، وذلك يلتمس من تنوع سياق القصة في المقام، فمرة جاءت في المشركين ومرة في أهل الكتاب . والتدرج في نزول القصة يكون أبلغ في التأثير ، قال ابن عاشور: " أن يَسْمَعَ اللَّاحِقُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي وَقْتِ نُزُولِ الْقُرْآنِ ذِكْرَ الْقِصَّةِ الَّتِي كَانَتْ فَاتَتْهُمْ مُمَّا نَلَّتْهَا قَبْلَ إِسْلَامِهِمْ أَوْ فِي مُدَّةٍ مَغِيْبِهِمْ، فَإِنَّ تَلْقَى الْقُرْآنِ عِنْدَ نُزُولِهِ أَوْقَعَ فِي النُّفُوسِ مِنْ تَطَلُّبِهِ مِنْ حَافِظِيهِ"<sup>4</sup>.

### 6/ مقاصد قصة يوسف من المطلع إلى المقطع

وقصة يوسف وردت في سورة واحدة من البداية إلى النهاية، وهذا فيه مقصد بلاغي للمفترين على القرآن، قال ابن عطية: " وسورة يوسف لم يتكرر من معناها في القرآن شيء كما تكررت قصص الأنبياء، ففيها حجة على من اعترض بأن الفصاحة تمكّنت بترداد القول، وفي تلك القصص حجة على من قال في هذه: لو كررت لفترت فصاحتها"<sup>5</sup>. وفيها لمن اعترض على عدم التكرار كذلك: قال

<sup>1</sup> سورة الأعراف 167

<sup>2</sup> الباقلاني أبو بكر- الانتصار للقرآن- تح: محمد العصام القضاة- دار الفتح- عمّان- دار ابن حزم - بيروت - ط1-

1422هـ-2001م-ج2-801

<sup>3</sup> المصدر نفسه- ج2- ص: 801

<sup>4</sup> الطاهر ابن عاشور- التحرير والتنوير- ج1- ص: 68

<sup>5</sup> ابن عطية- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز- ج3- ص: 218

## محاضرات في علوم القرآن الكريم

القرطبي: " وَقَدْ ذَكَرَ قِصَّةَ يُوسُفَ وَمَ يُكْرِّزُهَا، فَلَمْ يَغْدِرْ مُخَالِفٌ عَلَى مُعَارَضَةِ مَا تَكَرَّرَ، وَلَا عَلَى مُعَارَضَةِ غَيْرِ الْمُتَكَرِّرِ، وَالْإِعْجَازُ لِمَنْ تَأَمَّلَ"<sup>1</sup>

### المقصد الأول: الصراع بين أهل الحق وأهل الباطل

وهذا مقصد شريف، وهو أنّ الله ذكر أنّ الحق والباطل يعتلجان، والغلبة للحق مهما قوي

سلطان الباطل في نظر أهله، وهذا وعد الله، وهذا المقصد ذكر في السورة عدّة مرات، قال تعالى ﴿ قَالَ يَبْنِي لَكَ تَقْصُصَ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾<sup>2</sup>

وهذا التّهي دليل على أنّ الشيطان يتمكّن من حمل النّاس على إذاية أهل الحق، وهذا وعد منه، قال البيضاوي: " إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ظاهر العداوة لما فعل بآدم عليه السلام وحواء فلا يألوا جهداً في تسويلهم، وإثارة الحسد فيهم حتى يحملهم على الكيد"<sup>3</sup>.

وقوله تعالى: ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ﴾<sup>4</sup>، هذا تأكيد للآية السالفة الذكر في أنّ الشيطان هو الموسوس بدليل نسبة النزغ إليه<sup>5</sup>.

### المقصد الثاني: الصبر على الابتلاء سبب للتمكين في الأرض:

إنّ التمكين في الأرض وعد من الله لعباده المومنين، إلّا أنّ ذلك سنّته الأخذ بالأسباب التي أمر

<sup>1</sup> القرطبي- الجامع لأحكام القرآن- ج9- ص: 118

<sup>2</sup> سورة يوسف 5

<sup>3</sup> البيضاوي- أنوار التنزيل وأسرار التأويل- ج3- ص: 155

<sup>4</sup> سورة يوسف 100

<sup>5</sup> أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط في التفسير- تح: صدقي محمد جميل- دار الفكر- بيروت- ط- 1420هـ- ج6- ص: 328.

## محاضرات في علوم القرآن الكريم

الله بها سواء الدنيوية منها أو الدينية، وأهل الحق مبتلون، فلا بدّ لهم من صبر على طريق الحق، وأشدّ المصائب ما كان في الدين، وأشدّ الابتلاءات أصابت الأنبياء، وقصة يوسف جمعت كلّ هذه الأشياء، قال تعالى: ﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَيُّكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾<sup>1</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرَهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾<sup>2</sup>، وقوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾<sup>3</sup>، وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾<sup>4</sup>. قال الطاهر بن عاشور: " وفيها العبرة بصبر الأنبياء مثل يعقوب ويوسف - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - عَلَى الْبَلْوَى. وَكَيْفَ تَكُونُ هُمُ الْعَاقِبَةُ"<sup>5</sup>.

وهذه كلّها ابتلاءات مرّ بها يوسف عليه السلام، فامتحن في دينه ودنياه، لأنّه مجتبي، فقوله: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾<sup>6</sup>، دليل على يقينه في الله، فقد مكّن الله له ولمن معه، وهذا راجع لصبره.

### المقصد الثالث: أخذ العبر من القصة من نواح مختلفة:

والخبر المقصود الذي يسوقه الله الغرض منه أخذ العبرة، وهذا فيه إشارة للمؤمنين للنظر في

الأسباب والعواقب، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْسَّائِلِينَ﴾<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> سورة يوسف 09

<sup>2</sup> سورة يوسف 32

<sup>3</sup> سورة يوسف 77

<sup>4</sup> سورة يوسف 55

<sup>5</sup> الطاهر بن عاشور - التحرير والتنوير - ج12 - ص: 199

<sup>6</sup> سورة يوسف 100

<sup>7</sup> سورة يوسف 07

## محاضرات في علوم القرآن الكريم

، أي: أنّ في خبر يوسف وإخوته عبرة وموعظة لمن سأل عن أمرهم<sup>1</sup>. وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾<sup>2</sup>، ووجه الاعتبار لم يحدده الله، بل أجمل الأمر لأنّ القصة لها أغراض وعبر كثيرة ذكر منها الرازي في تفسيره أوجها كثيرة، واخترت قولاً منها: "وَوَجْهُ الْإِعْتِبَارِ بِقَصَصِهِمْ أُمُورٌ: الْأَوَّلُ: أَنَّ الَّذِي قَدَّرَ عَلَىٰ إِعْزَازِ يُوسُفَ بَعْدَ إِقَائِهِ فِي الْجُبِّ، وَإِعْلَائِهِ بَعْدَ حَبْسِهِ فِي السَّجْنِ وَتَمْلِيكِهِ مِصْرَ بَعْدَ أَنْ كَانُوا يَظُنُّونَ بِهِ أَنَّ عَبْدًا لَهُمْ، وَجَمْعِهِ مَعَ وَالِدَيْهِ وَإِخْوَتِهِ عَلَىٰ مَا أَحَبَّ بَعْدَ الْمُدَّةِ الطَّوِيلَةِ، لِقَادِرٌ عَلَىٰ إِعْزَازِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِعْلَائِهِ كَلِمَتِهِ"<sup>3</sup>. ومنها ما ذكره الطاهر بن عاشور، وهو مقصد جليل من السورة نفسها وهو: "وَفِيهَا مِنْ عِبَرٍ تَارِيخِ الْأُمَّمِ وَالْحَضَارَةِ الْقَدِيمَةِ وَقَوَائِنِهَا وَنِظَامِ حُكُومَاتِهَا وَعُقُوبَاتِهَا وَتِجَارَتِهَا"<sup>4</sup>

المقصد الرابع: مقصد تسلية النبي صلى وسلم عليه<sup>5</sup>: وهذا مقصد يشترك فيه القصص جميعاً، تسلية وتثيتاً.

وقد بدا لي وجه مناسبة بين مطلعها ومقطعها، وهو أنّ الله قال في بداية السورة: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾<sup>6</sup>

فكان وجه المناسبة أنّ الله ردّ على المشكّكين والسائلين لرسول الله عن غيب القصص، من اليهود والمشرّكين، فأحسن القصص لاشتماله على أحسن فوائدها وأحسن ما فيها، ثمّ بين وجه الأحسن في

<sup>1</sup> أبو الليث السمرقندي- بحر العلوم- دط-دت- ج2- ص: 180

<sup>2</sup> سورة يوسف 111

<sup>3</sup> الفخر الرازي- مفاتيح الغيب- ج18- ص: 555

<sup>4</sup> الطاهر بن عاشور- التحرير والتنوير- ج12- ص: 199

<sup>5</sup> المصدر نفسه- ج12- ص: 199

<sup>6</sup> سورة يوسف 111

## محاضرات في علوم القرآن الكريم

---

الأخير من القصص، وهو الوقوف على مقصده وثمرته، وهو أخذ العبر، وهذا لا يقف عليه عوام الجهلة بل أصحاب العقول.



### المحاضرة السابعة: الأمثال في القرآن الكريم

قسّم العلماء القرآن الكريم إلى أبواب، منها باب الأمثال التي ضربها الله في كتابه للناس، والقرآن الكريم حمل طابع التحدي والإعجاز في جميع أبوابه، فالعرب كان ضرب الأمثال معروفا عندهم، فما وجه المفارقة بين أمثال القرآن الكريم وبين أمثال العرب من منطلق الوقوف على حكم وأسرار الأمثال القرآنية.

#### 1/تعريف الأمثال:

المثل في اللغة يحمل عدّة دلالات تستعمل في سياقاتها، والذي يهّمنا ما كان له علاقة بضرب المثل في القرآن الكريم، جاء في مختار الصحاح: " [ م ث ل ]: مِثْلٌ كَلِمَةٌ تَسْوِيَةٌ يُقَالُ: هَذَا (مِثْلُهُ) وَ (مِثْلُهُ) كَمَا يُقَالُ: شَبَّهُهُ وَشَبَّهُهُ. وَ (الْمِثْلُ) مَا يُضْرَبُ بِهِ مِنَ (الْأَمْثَالِ) . وَ (مِثْلُ) الشَّيْءِ أَيْضًا بِفَتْحَتَيْنِ صَفْتُهُ"<sup>1</sup>.

فالمعنى الذي له علاقة بضرب المثل، هو المثل بمعنى المثال، وهو النموذج الذي يُحتذى ويقاس عليه. والثاني: المثل بمعنى الشبّه، وهو ما يجري فيه القياس بتشبيه شيء بشيء<sup>2</sup> والأمثال قال الراغب الأصفهاني في معناها: " والمِثْلُ عبارة عن قول في شيء يشبه قولاً في شيء آخر بينهما مشابهة، ليبين أحدهما الآخر ويصوّره. نحو قولهم: «الصَّيْفُ ضَيَّعَ اللَّبْنَ» فإن هذا القول يشبه قولك: أهملت وقت الإمكان أمرك. وعلى هذا الوجه ما ضرب الله تعالى من الأمثال،

<sup>1</sup> أبو بكر الحنفي الرازي- مختار الصحاح- تح: يوسف الشيخ محمد- المكتبة العصرية- الدار النموذجية- بيروت- صيدا- ط5-1420هـ-1999م - ص:290- مادة- م ث ل.

<sup>2</sup> عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع- الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله- عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة- المملكة العربية السعودية- ط1-1424هـ-2003م- ص:87

## محاضرات في علوم القرآن الكريم

فقال: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>1</sup>، وأمثا شبيهه (تشبيهه) شيء بشيء في

حكمه وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر واعتبار أحدهما بالآخر<sup>3</sup>

وقال الزركشي: وَالْأَمْثَالُ مَقَادِيرُ الْأَفْعَالِ وَالْمُتَمَثِّلُ كَالصَّانِعِ الَّذِي يُقَدِّرُ صِنَاعَتَهُ كَالْحَيَّاطِ يُقَدِّرُ

التَّوْبَ عَلَى قَامَةِ الْمَخِيطِ ثُمَّ يَفْرِيهِ ثُمَّ يَقْطَعُ وَكُلُّ شَيْءٍ بِهِ قَالِبٌ وَمُقَدَّرٌ وَقَالِبُ الْكَلَامِ وَمُقَدَّرُهُ  
الْأَمْثَالُ<sup>4</sup>.

### 2/ضرب الأمثال:

والمقصود بضرب الأمثال في القرآن الكريم، كل ما كان فيه نصب المثال وإظهاره للمخاطبين

لتستدل عليه خواطرهم كما تستدل على الشيء المنصوب نواظرهم ، أو الأصل الذي يتوصل  
المخاطب بالمقايسة والمقارنة والاعتبار به إلى استخلاص البرهان والعبرة ونحوها<sup>5</sup>. وهذا هو الأغلب

الواقع في القرآن الكريم، كما قال تعالى: ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾<sup>6</sup>، قال الزمخشري: "أي: صفات

ما فعلوا وما فعل بهم، وهي في الغرابة كالأمثال المضروبة لكل ظالم"<sup>7</sup>، وقال الرازي منوها على مقصد

ضرب الأمثال في القرآن الكريم: "وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ، فَالْمُرَادُ مَا أَوْرَدَهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ مِمَّا يُعَلِّمُ بِهِ أَنَّهُ

<sup>1</sup> سورة الحشر 21

<sup>2</sup> الراغب الأصفهاني- المفردات في غريب القرآن- تح: صفوان عدنان الداودي- دار القلم-الدار الشامية- دمشق- بيروت- ط1-1412هـ-ص:759

<sup>3</sup> ابن القيم الجوزية- الأمثال في القرآن- تح: أبو حذيفة إبراهيم بن محمد- مكتبة الصحابة- طنطا- مصر- ط1-1406هـ- 1986م- ص:09

<sup>4</sup> الزركشي- البرهان في علوم القرآن- ج1- ص:478

<sup>5</sup> ينظر: عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع- الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله - ص89

<sup>6</sup> سورة إبراهيم 45

<sup>7</sup> الزمخشري- الكشاف- ج2- ص:565

## محاضرات في علوم القرآن الكريم

قَادِرٌ عَلَى الْإِعَادَةِ كَمَا قَدَرَ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ ، وَقَادِرٌ عَلَى التَّعْذِيبِ الْمُؤَجَّلِ كَمَا يَفْعَلُ الْهَالِكِ الْمُعَجَّلَ ،  
وَذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ كَثِيرٌ"<sup>1</sup>.

### 3/ ضرورة معرفة علم الأمثال للمفسر

معرفة معاني كتاب الله تعالى هي غاية المفسر والمتدبر، ولا يقف المفسر على أحسن وجه يحمل عليه تفسير اللفظة أو الآية إلا إذا جمع الكثير من العلوم التي تيسر عليه ذلك، وقد يتفاوت المفسرون في هذا المقدار، وحرّيّ بالمفسر أن يقف مع أمثال القرآن الكريم، فيستخرج مقاصد ضربها في كلّ سورة، فيبيّن فيها في تفسيره، إذ الأمثال من أوجهه التي أشار إليها العلماء، وقد أخرج البيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَعْرَبُوا الْقُرْآنَ، وَاتَّبِعُوا غَرَائِبَهُ وَغَرَائِبُهُ فَرَائِضُهُ وَحُدُودُهُ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ عَلَى خَمْسَةِ أَوْجُهٍ: حَلَالٍ وَحَرَامٍ وَمُحْكَمٍ وَمُتَشَابِهٍ وَأَمْثَالٍ، فَاعْمَلُوا بِالْحَلَالِ وَاجْتَنِبُوا الْحَرَامَ وَاتَّبِعُوا الْمُحْكَمَ وَأَمْنُوا بِالْمُتَشَابِهِ وَاعْتَبِرُوا بِالْأَمْثَالِ"<sup>2</sup>  
وقد نقل عن الشافعي أنه بما يجب على المُجْتَهِدِ مَعْرِفَتُهُ مِنْ عُلُومِ الْقُرْآنِ فَقَالَ: ثُمَّ مَعْرِفَةُ مَا ضُرِبَ فِيهِ مِنَ الْأَمْثَالِ الدَّوَالِّ عَلَى طَاعَتِهِ الْمُبَيِّنَةِ لِاجْتِنَابِ مَعْصِيَتِهِ"<sup>3</sup>.

وقد نقل السيوطي عن الماوردي أنه قال: " مِنْ أَعْظَمِ عِلْمِ الْقُرْآنِ عِلْمُ أَمْثَالِهِ وَالنَّاسُ فِي غَفْلَةٍ عَنْهُ لِاشْتِعَالِهِمْ بِالْأَمْثَالِ وَإِعْفَالِهِمْ الْمُمَثَّلَاتِ وَالْمَثَلُ بِلَا مُثَلِّ كَالْفَرَسِ بِلَا لِحَامٍ وَالنَّاقَةَ بِلَا زِمَامٍ"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> الرازي- مفاتيح الغيب- ج19- ص:110.

<sup>2</sup> البيهقي أبو بكر- شعب الإيمان- حققه وراجعته: عبد العلي عبد الحميد حامد- مكتبة الرشد- الرياض- بالتعاون مع الدار السلفية بيومباي- الهند- ط1-1423هـ-2003م-تعظيم القرآن-فصل في ترك التفسير بالظن- رقم:2095- ج3- ص:548-. الحديث قال فيه الملا الهروي القاري أنه ضعيف جدا، ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح- دار الفكر- بيروت- لبنان- ط1-1422هـ-2002م- رقم:182- ج1- ص:267.

<sup>3</sup> السيوطي - الإتيقان في علوم القرآن- ج4- ص:44، وعبد الرحمن بن محمد بن قاسم الحنبلي النجدي- حاشية مقدمة التفسير- ط2-1410هـ-1990م-ص:96.

<sup>4</sup> السيوطي- الإتيقان في علوم القرآن- ج4- ص:44.

4/المقصد العام من ضرب الأمثال في القرآن الكريم:

ورد في الكثير من الآيات ضرب المثل، وهو ضرب متنوع متعدّد، وقد يأتي التذكير به في آخر الآية بعد سوق القصة الواقعة، أو الخبر المقصود، وهذا هو الغالب أو يذكر الله به دون أن يورد قبله شيئاً مما سبق، فيأتي به عامّاً، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾<sup>1</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾<sup>2</sup>. أو يذكر الله المثل بالشخص أو العين، كقوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّْا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>3</sup>، فالمقصد العام من ضرب الأمثال كما ذكر الزركشي: "أَنَّ الْحِكْمَ وَالْأَمْثَالَ تُصَوِّرُ الْمَعَانِيَ تَصَوُّرَ الْأَشْخَاصِ فَإِنَّ الْأَشْخَاصَ وَالْأَعْيَانَ أَتَبْتُ فِي الْأَذْهَانِ لِاسْتِعَانَةِ الذُّهْنِ فِيهَا بِالْحَوَاسِّ بِخِلَافِ الْمَعَانِيَ الْمَعْقُولَةِ فَإِنَّهَا مُجَرَّدَةٌ عَنِ الْحِسِّ وَلِذَلِكَ دَقَّتْ"<sup>4</sup>

4/أقسام الأمثال الواقعة في القرآن الكريم:

ذكر السيوطي أنّ الأمثال على قسمين، قسم ظاهر مصرّح به، وقسم كامن لا ذكر للمثل فيه<sup>5</sup>، فالقسم الأول الظاهر وجوده كثير في القرآن الكريم، والغرض من التصريح بالمثل فيه هو شدّة وقعه على النفوس، وسهولة استخلاص العبر منه، ومنه قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> سورة الإسراء 89

<sup>2</sup> سورة الزمر 27

<sup>3</sup> سورة النحل 75

<sup>4</sup> الزركشي - البرهان في علوم القرآن - ج1 - ص: 488

<sup>5</sup> السيوطي - الإتقان في علوم القرآن - ج4 - ص: 46

<sup>6</sup> سورة البقرة 17

## محاضرات في علوم القرآن الكريم

قال ابن القيم: " فضرب للمناققين بحسب حالهم مثلين، مثلاً نارياً ومثلاً مائياً لما في الماء والنار من الإضاءة والإشراق والحياة، فإنّ النّار مادة النور، والماء مادة الحياة، وقد جعل الله سبحانه الوحي الذي أنزل من السماء متضمّناً لحياة القلوب واستنارتها، ولهذا سماه روحاً ونوراً، وجعل قابليه أحياء في النور، ومن لم يرفع به رأساً أمواتاً في الظلمات، وأخبر عن حال المناققين بالنسبة إلى حظهم من الوحي أنّهم بمنزلة من استوقد ناراً لتضيء له، وينتفع بها، وهذا لأنهم دخلوا في الإسلام، فاستضاءوا به وانتفعوا بها"<sup>1</sup>

وقوله تعالى: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَنُكَلِّمَهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثَ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾<sup>2</sup>، قال الرازي: " قَالَ أَهْلُ الْمَعَانِي: الْمَقْصُودُ مِنْهُ بَيَانُ أَنَّ مَنْ أُوتِيَ الْهُدَى، فَانْسَلَخَ مِنْهُ إِلَى الضَّلَالِ وَالْهَوَى وَالْعَمَى، وَمَالَ إِلَى الدُّنْيَا، حَتَّى تَلَاعَبَ بِهِ الشَّيْطَانُ كَانَ مُنْتَهَاهُ إِلَى الْبُورِ وَالرَّدَى، وَخَابَ فِي الْأَحْرَةِ وَالْأُولَى، فَذَكَرَ اللَّهُ قِصَّتَهُ لِيُخَدِّرَ النَّاسَ عَنْ مِثْلِ حَالَتِهِ... وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا التَّمْثِيلَ مَا وَقَعَ بِجَمِيعِ الْكِلَابِ... فَمَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْعِلْمَ وَالدِّينَ فَمَالَ إِلَى الدُّنْيَا، وَأَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ، كَانَ مُشَبَّهًا بِأَخْسَرِ الْحَيَوَانَاتِ، وَهُوَ الْكَلْبُ اللَّاهِثُ"<sup>3</sup>،

ومنها قوله تعالى: ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ وَيَأْتِيهِ الرِّيحُ بِأَذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نَصَّرَفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾<sup>4</sup>، أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قوله: وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِأَذْنِ رَبِّهِ فَهَذَا مَثَلُ ضَرْبِهِ اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِينَ يَقُولُ: هُوَ طَيِّبٌ وَعَمَلُهُ طَيِّبٌ كَمَا أَنَّ الْبَلَدَ الطَّيِّبُ ثَمَرُهَا طَيِّبٌ<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> ابن القيم الجوزية- الأمثال في القرآن- ص: 09

<sup>2</sup> سورة الأعراف 176

<sup>3</sup> الرازي- مفاتيح الغيب- ج- 15- ص: 404-405

<sup>4</sup> سورة الأعراف 58

<sup>5</sup> ابن أبي حاتم الرازي- تفسير القرآن العظيم- نج: أسعد محمد الطيب- مكتبة نزار مصطفى الباز- المملكة العربية السعودية-

ط3-1419هـ- رقم: 8613- ج5- ص: 1503

القسم الثاني: ما كان كامنا:

وهذا القسم لا يظهر فيه المثل، بل يستفاد منه، وقد أورد السيوطي أمثلة عن ذلك حكاها عن

الماوردي، وهي أمثلة سمعت عن العرب وحفظت عنها، استنبط معناها من القرآن الكريم، قال: "

فَقَالَ الْمَاورِدِيُّ: سَمِعْتُ أَبَا إِسْحَاقَ إِبرَاهِيمَ بْنَ مُضَارِبِ بْنِ إِبرَاهِيمَ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ:

سَأَلْتُ الْحُسَيْنَ بْنَ الْفَضْلِ فَقُلْتُ: إِنَّكَ تُخْرِجُ أَمْثَالَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ مِنَ الْقُرْآنِ فَهَلْ تَجِدُ فِي كِتَابِ اللَّهِ

خَيْرَ الْأُمُورِ أَوْ سَاطِئِهَا؟ قَالَ: نَعَمْ فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ﴾<sup>1</sup>،

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾<sup>2</sup>، وقوله تعالى: ﴿

وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾<sup>3</sup>، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ

وَلَا تَخَافُ بِهَا وَابْتِغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾<sup>4</sup>.

قُلْتُ: فَهَلْ تَجِدُ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَنْ جَهَلَ شَيْئًا عَادَاهُ قَالَ نَعَمْ فِي مَوْضِعَيْنِ: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ

يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ﴾<sup>5</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَمَسَّحُوا بِهِنَّ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾<sup>6</sup>

قُلْتُ: فَهَلْ تَجِدُ فِي كِتَابِ اللَّهِ "لَيْسَ الْخَبْرُ كَالْعَيَانِ"؟ قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنُ قَالَ

بَلَىٰ وَلَكِنْ لَيْطَمَنَّ قَلْبِي﴾<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> سورة البقرة 68

<sup>2</sup> سورة الفرقان 67

<sup>3</sup> سورة الإسراء 29

<sup>4</sup> سورة الإسراء 110

<sup>5</sup> سورة يونس 39

<sup>6</sup> سورة الأحقاف 11

<sup>7</sup> سورة البقرة 260

قُلْتُ: فَهَلْ تَجِدُ فِي "الْحَرَكَاتِ الْبَرَكَاتِ"؟ قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافِقًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۗ 21﴾

والذي ذكره الماوردي عن أبي إسحاق، هو اجتهاد منه، وقد يستنبط غير ما قالته العرب من القرآن الكريم، ويكون خافيا كذلك، وسنبيّن وجه الإعجاز في أمثال القرآن الكريم ممّا امتاز به عن أمثلة العرب في مبحثه المخصّص له.

### 5/مقاصد ضرب الأمثال القرآنية:

والأمثال القرآنية حالها كحال القصص، فلم يذكرها الله للتفكّه والاستئناس بها، بل المتدبّر في هذه الأمثال يقف على دبرها من حكم تلمس، وفوائد تنتفس، فالأمثال التي ضربها الله في كتابه، ما هي إلا زواجر وأوامر للاقتداء والاهتداء لما فيه صلاح الفرد والأمة، ومن هذه المقاصد:

▪ أنها مقصد للتفكر والتدبر والاعتبار والاستبصار:

وهذه الغاية والمقصد الأسمى من ضرب الأمثال في القرآن الكريم، فما من مثّل إلا واشتمل على حكمة وعبرة، سواء أكان مصرّحا به أم كامنا، لاشتمال الأمثال على أوامر أو نواهي، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۗ 3﴾، قال الثعالبي في تفسيره: " فالإنسان على حقارته وضعفه أولى بذلك، وضرب الله سبحانه هذا المثل ليتفكّر فيه العاقل، ويخشع ويلين قلبه<sup>4</sup> ". وفي سورة إبراهيم: ﴿ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ 5﴾، قال أبو الليث السمرقندي: " يعني: إنكم سمعتم هذا كلّه في

<sup>1</sup> سورة النساء 100

<sup>2</sup> السيوطي - الإتيان في علوم القرآن - ج 4 - ص: 48

<sup>3</sup> سورة الحشر 21

<sup>4</sup> عبد الرحمن الثعالبي - الجواهر الحسان في تفسير القرآن - تح: محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود - دار إحياء التراث

العربي - بيروت - ط 1-1418هـ - ج 5 - ص: 414

<sup>5</sup> سورة إبراهيم 45

## محاضرات في علوم القرآن الكريم

الدنيا فلم تعتبروا؛ فلو رجعتم بعد هذا اليوم، لا تنفعكم الموعظة أيضاً<sup>1</sup>.

■ تقريب صورة المثل المضروب إلى العقول<sup>2</sup>:

وهذا القسم هو الذي ذكر فيه المثل في صورة محسوسة، والغرض منه أن يكون أوقع على النفس، "فَإِنَّ الْأَمْثَالَ تُصَوِّرُ الْمَعَانِيَ بِصُورَةِ الْأَشْخَاصِ لِأَنَّهَا أُثْبِتُ فِي الْأَذْهَانِ لِاسْتِعَانَةِ الدَّهْنِ فِيهَا بِالْحَوَاسِّ وَمَنْ تَمَّ كَانَ الْغَرَضُ مِنَ الْمَثَلِ تَشْبِيهُ الْحَقِيقِيِّ بِالْجَلْبِيِّ وَالْغَائِبِ بِالشَّاهِدِ"<sup>3</sup>

وهذا أمثلته كثيرة، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾<sup>4</sup>، وقوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَبًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾<sup>5</sup>، وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حَمَلُوا التَّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾<sup>6</sup>.

■ الدلالة على قيمة المثل المضروب به

وفي هذا تقريب للحقائق والمعاني، فإذا ضرب له مثلاً، فاعلم أننا يريد منه معناه، ومعناه تلتبس قيمته من عظمة المضروب به، والعكس، فيضرب الحقيير بالمثل الخسيس للتفجير منه ومن حاله، وهذا ما تفرّد به الزمخشري قال: "فإن كان المتمثل له عظيماً كان المتمثل به مثله، وإن كان حقيراً كان المتمثل به كذلك، فليس العظم والحقارة في المضروب به المثل إذاً إلا أمراً تستدعيه حال المتمثل له وتستجرّه إلى نفسها، فيعمل الضارب للمثل على حسب تلك القضية. ألا ترى إلى الحق لما كان واضحاً جلياً أبلج، كيف تمثل له بالضياء والنور؟ وإلى الباطل لما كان بضد صفته، كيف تمثل له

<sup>1</sup> أبو الليث السمرقندي- بحر العلوم- دط-دت- ج2- ص: 247

<sup>2</sup> السيوطي- الإتيان في علوم القرآن- ج4- ص: 45

<sup>3</sup> المصدر نفسه- ج4- ص: 45

<sup>4</sup> سورة إبراهيم 24

<sup>5</sup> سورة الزمر 29

<sup>6</sup> سورة الجمعة 05

## محاضرات في علوم القرآن الكريم

بالظلمة؟ ولما كانت حال الآلهة التي جعلها الكفار أنداداً لله تعالى لا حال أحقر منها وأقل، ولذلك جعل بيت العنكبوت مثلها في الضعف والوهن، وجعلت أقل من الذباب وأخس قدر<sup>1</sup>.

### ■ تبكيت الخصم

وهذا في الأمثلة التي ضربها الله ردّاً على أشخاص معيّنين، حاجة لهم، وهذا أمثله ليست بكثيرة الواقع في القرآن الكريم، لأنّ العبرة ليست بمن ضرب به المثل غالباً، بل المثل المضروب به إمّا ترغيباً أو تنفيراً منه، ومن أمثله الواقعة قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبِعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الضَّالِّينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرِكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا<sup>2</sup>﴾

فقد قال ابن كثير: " قَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنِ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، عَنِ الْأَعْمَشِ وَمَنْصُورٍ، عَنِ أَبِي الضُّحَى، عَنِ مَسْرُوقٍ، عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾ [فَاتَّبَعَهُ] الْآيَةَ، قَالَ: هُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، يُقَالُ لَهُ: بَلْعَمُ بْنُ أَبَرَ. وَكَذَا رَوَاهُ شُعْبَةُ وَعَبْدُ وَاحِدٍ، عَنِ مَنْصُورٍ، بِهِ. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ، عَنِ قَتَادَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، هُوَ صَيْفِيُّ بْنُ الرَّاهِبِ<sup>3</sup>.

هذه بعض المقاصد الحسنة لضرب الأمثال القرآنية، والقرآن معينه لا ينضب، فمن تدبّر في أمثاله استزاد من عبره وأسراره، وهو وجه من أوجه الإعجاز فيه، والأمثال القرآنية زادت على الأمثال العربية صدقاً، وقد صحّح الشرع الحكيم بعض الأمثال العربية، كقول العرب: "القتل أنفى للقتل"، ولكن القرآن جاء فيه **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ يَتَّقُونَ<sup>4</sup>**.

<sup>1</sup> الزمخشري- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل - ج1- ص: 111

<sup>2</sup> سورة الأعراف 175-176

<sup>3</sup> ابن كثير- تفسير القرآن العظيم- ج3- ص: 506-507

<sup>4</sup> سورة البقرة 179



### المحاضرة الثامنة: القسم في القرآن الكريم

نوع القرآن الكريم من خطابه، وانتهج أساليب مختلفة للتأثير على المخاطب، لقبول الحق مهما كان مقصوده، والنفوس البشرية في التأثر متباينة لاختلاف المؤثرات، فمنهم المشرك الوثني الباقي على ملة أجداده، ومنهم المنافق، ومنهم أهل الكتاب، ومنهم المؤمن الموحد، ومن مقامات البلاغة عند العرب أن يخاطب كلُّ بحسب المقام الذي هو فيه، فخالي الذهن ليس كالمتردد، والمتردد ليس كالمنكر، ولذا انتهج القرآن الكريم أسلوباً من أساليب الخطاب للبرهان والاستدلال، وهو القسم. فما هو القسم؟ وما هي أغراضه ومقاصده الخطابية؟

#### 1/ تعريف القسم:

1/ لغة " والقسم، بالتخريك: اليمين، وكذلك المقسم، وهو المصدّر مثل المخرج، والجمع أقسام. وقد أقسم بالله واستقسمه به وقاسمه: حلف له. وتقاسم القوم: تحالفوا. وفي التنزيل: ﴿ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ <sup>1</sup> . وَأَقْسَمْتُمْ: حَلَفْتُمْ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْقَسَامَةِ. ابْنُ عَرَفَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ <sup>2</sup> 》 هُمُ الَّذِينَ تَقَاسَمُوا وَتَحَالَفُوا عَلَى كَيْدِ الرَّسُولِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>3</sup> .

#### ب/ اصطلاحاً:

قال ابن سيده: " اعلم أن القسم هو يمين يقسم بها الحالف؛ ليؤكد بها شيئاً يُخبر عنه من إيجاب أو جحد، وهو جملة يؤكد بها جملة أخرى <sup>4</sup> .

<sup>1</sup> سورة النمل 49

<sup>2</sup> سورة الحجر 90

<sup>3</sup> ابن منظور - لسان العرب - ج 12 - ص: 481 - مادة: [ ق س م ]

<sup>4</sup> ابن سيده أبو الحسن المرسي - المخصص - تح: خليل إبراهيم جفال - دار إحياء التراث العربي - بيروت - ط 1 - 1417 هـ -

1996 م - ج 4 - ص: 71

## محاضرات في علوم القرآن الكريم

وهذا الغالب في قسم المخلوق بالخالق من جهة القوّة لتحصيل المرغوب والامتناع من المرهوب<sup>1</sup>،  
أمّا فيما تعلق بقسم الخالق بما أقسم به في القرآن الكريم، فتبقى أغراضه ومقاصده مقصودة، لكن لا  
وجه لاحتياج الله تعالى إلى التقوي بها، بل المقصود تقوية الغرض من القسم .

### 2/ وجود القسم في القرآن الكريم:

والتساؤل الذي يتبادر إلى الأذهان هو، ما هو الداعي لوقوع القسم مع أنّ الله تعالى لا يقول إلاّ  
الحقّ، لقوله تعالى: ﴿ وَاللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾<sup>2</sup>، والذي جاء به رسول الله هو عين  
الصدق، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾<sup>3</sup>، وهذا التساؤل يقع  
فيمن التبس عليهم قسم من أقسام القسم، وهو قسم الله تعالى، ولكنّ المعلوم أنّ هذا القرآن عربي  
النزول والتنزيل، والمخاطبون به هم العرب الفصحاء، ومن فهم سنن العرب في خطابها زال عليه  
اللبس، لأنّ القسم ضمن خطابها، وله مقصوده، قال السيوطي: "بأنّ القرآن نزل بلغة العرب ومن  
عادتها القسم إذا أرادت أن تؤكّد أمرًا"<sup>4</sup>، وذكر الرازي نقلا عن الواحدي الغرض العام منه: "قال  
الواحدي: إنّما سمّي اليمين بالقسم لأنّ اليمين موضوعة لتوكيد الخبر الذي يُخبر به الإنسان: إنّما مُثبتًا  
للشيء، وإنّما نافيًا. ولما كان الخبر يدخله الصدق والكذب احتاج المخبر إلى طريق به يتوسّل إلى  
ترجيح جانب الصدق على جانب الكذب وذلك هو الحلف ولما كانت الحاجة إلى ذكر الحلف إنّما  
تخصّل عند انقسام الناس عند سماع ذلك الخبر إلى مُصدّق به ومكذّب به. سمّوا الحلف بالقسم وبنّوا  
تلك الصيغة على - أفعل - فقالوا: أقسم فلان يُقسم إقسامًا: وأرادوا أنّه أكّد القسم الذي اختاره

<sup>1</sup> الكاساني علاء الدين الحنفي - بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع - دار الكتب العلمية - ط1-1406هـ-1986م-ج3-

ص:02

<sup>2</sup> سورة الأحزاب 04

<sup>3</sup> سورة الزمر 33

<sup>4</sup> السيوطي - الإتيان في علوم القرآن - ج4- ص:53

## محاضرات في علوم القرآن الكريم

وَأَحَالَ الصِّدْقَ إِلَى الْقَسَمِ الَّذِي اخْتَارَهُ بِوَاسِطَةِ الْحَلْفِ وَالْيَمِينِ<sup>1</sup>.

### 3/ قَسَمَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ:

أقسم الله تعالى بما خلقه في القرآن الكريم، كالزمن، والمكان، وعمُر النبي صلى وسلم عليه، والنبات، وغيرها، والمقصود من القَسَم هو تعظيم المُقْسَم به ، وَلِهَذَا كَانَتْ عَادَةُ الْعَرَبِ الْقَسَمَ بِمَا جَلَّ قَدْرُهُ وَعَظُمَ خَطَرُهُ وَكَثُرَ نَفْعُهُ عِنْدَ الْخَلْقِ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَنَحْوِ ذَلِكَ<sup>2</sup>.

والمؤمن يدرك أنّ العظمة لله تعالى، فهل يُقسم ربّنا بما خلق للدلالة على عظمته؟، نقول: نعم، لا تنافي بين الأمرين، لأنّ وجه الحكمة في القَسَم عائدة على المخاطبين لا على الله تعالى، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، وقد نقل السيوطي عن القشيري أنّ الغرض: "بِأَنَّ اللَّهَ ذَكَرَ الْقَسَمَ لِكَمَالِ الْحُجَّةِ وَتَأْكِيدِهَا: وَذَلِكَ أَنَّ الْحُكْمَ يُفْصَلُ بِاثْنَيْنِ: إِمَّا بِالشَّهَادَةِ وَإِمَّا بِالْقَسَمِ فَذَكَرَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ النَّوْعَيْنِ حَتَّى لَا يَبْقَى لَهُمْ حُجَّةٌ فَقَالَ: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ ﴾<sup>3</sup> ؛ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾<sup>4</sup> ، وَعَنْ بَعْضِ الْأَعْرَابِ أَنَّهُ لَمَّا سَمِعَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾<sup>5</sup> ، صَرَخَ وَقَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي أَعْصَبَ الْجَلِيلَ حَتَّى أَجَاءَهُ إِلَى الْيَمِينِ!<sup>6</sup>

<sup>1</sup> نقلا عن الرازي- مفاتيح الغيب- ج13- ص: 112

<sup>2</sup> الكاساني علاء الدين الحنفي- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع- ج3- ص: 02

<sup>3</sup> سورة آل عمران 18

<sup>4</sup> سورة يونس 53

<sup>5</sup> سورة الذاريات 22-23

<sup>6</sup> السيوطي- الإتيقان في علوم القرآن- ج4- ص: 53

## محاضرات في علوم القرآن الكريم

كما أنّ تعظيم المؤمن لما أقسم الله تعالى به من مخلوقاته، والوقوف على حكمته، دلالة على عظمة من أقسم به، وهو الله تعالى، وقسم الله على قسمين: قسم بنفسه، وقسم بمخلوقاته.

أ/ قَسَمَ اللهُ تَعَالَى بِنَفْسِهِ : أقسم الله بنفسه في سبع مواضع في القرآن الكريم <sup>1</sup>، وهي في قوله تعالى: " **قُلْ إِي وَرَبِّي** " <sup>2</sup> **قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثَنَ** <sup>3</sup>، في موضعين <sup>4</sup>، **﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ﴾** <sup>5</sup> **﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَلْتَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾** <sup>6</sup> **﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾** <sup>7</sup> **﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾** <sup>8</sup>. والآية الأخيرة المقصود منها كلمة "رب"، وإلاّ عددنا المشارق والمغرب من مخلوقاته.

أ/ بعض أغراض القسم في هذا القسم:

في قوله تعالى: **﴿ قُلْ إِي وَرَبِّي ﴾**، قال الرازي: " الفائدة فيه أمور: أحدها: أن يستم إليهم وَيَتَكَلَّمُ مَعَهُمْ بِالْكَلَامِ الْمُعْتَادِ وَمِنَ الظَّاهِرِ أَنَّ مَنْ أَحْبَرَ عَن شَيْءٍ، وَأَكَّدهُ بِالْقَسَمِ فَقَدْ أَخْرَجَهُ عَنِ الْهَزْلِ وَأَدْخَلَهُ فِي بَابِ الْجِدِّ. وَثَانِيهَا: أَنَّ النَّاسَ طَبَقَاتٌ فَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُقَرُّ بِالشَّيْءِ إِلَّا بِالْبُرْهَانِ الْحَقِيقِيِّ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَنْتَفِعُ بِالْبُرْهَانِ الْحَقِيقِيِّ، بَلْ يَنْتَفِعُ بِالأَشْيَاءِ الإِقْنَاعِيَّةِ، نَحْوَ الْقَسَمِ " <sup>9</sup>.

في قوله تعالى: **﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَلْتَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾**، قال ابن عاشور: "والمقصود بالقسم تأكيد الخبر. وَأَيْسَ الرَّسُولِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - مِمَّنْ يَشْكُ فِي صِدْقِ هَذَا الوَعِيدِ وَلَكِنَّ التَّأَكِيدَ مُتَسَلِّطٌ عَلَى

<sup>1</sup> المصدر السابق - ج 4 - ص: 54

<sup>2</sup> سورة يونس 53 - الموضع الثاني في سورة سبأ 03

<sup>3</sup> سورة التغابن 07

<sup>4</sup> وفي الثلاثة الأول أمر الله تعالى رسوله بأن يقسم به، كما ذكر مناع القطان، ينظر: كتابه: مباحث في علوم القرآن - ص 302

<sup>5</sup> سورة مريم 68

<sup>6</sup> سورة الحجر 92

<sup>7</sup> سورة النساء 65

<sup>8</sup> سورة المعارج 40

<sup>9</sup> الرازي - مفاتيح الغيب - ج 17 - ص: 264

## محاضرات في علوم القرآن الكريم

مَا فِي الْخَبْرِ مِنْ تَهْدِيدٍ مُعَادٍ ضَمِيرِ النَّصْبِ فِي لَسْتَلْتَهُمْ. وَوَصَفُ الرَّبِّ مُضَافًا إِلَى ضَمِيرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِيَّاهُ إِلَى أَنَّ فِي السُّؤَالِ الْمُقْسَمِ عَلَيْهِ حَظًّا مِنَ التَّنْوِيهِ بِهِ، وَهُوَ سُؤَالُ اللَّهِ الْمُكَدِّبِينَ عَنْ تَكْذِيبِهِمْ إِيَّاهُ سُؤَالُ رَبِّ يَعْزُبُ لِرِسُولِهِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -<sup>1</sup>.

وفي قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾<sup>2</sup> ، الْقَسَمُ بِاللَّهِ بِعُنْوَانِ رُبُوبِيَّتِهِ

الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ مَعْنَاهُ: رُبُوبِيَّتُهُ الْعَالَمَ كُلَّهُ لِأَنَّ الْعَالَمَ مُنْحَصِرٌ فِي جِهَاتِ شُرُوقِ الشَّمْسِ وَعُرُوبِهَا<sup>3</sup>

ب/ القسم بمخلوقاته: ومن أمثلة هذا القسم قوله تعالى: "كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَالْتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ﴾<sup>4</sup> ، ﴿وَالصَّافَاتِ﴾<sup>5</sup> ، ﴿وَالشَّمْسِ﴾<sup>6</sup> ، ﴿وَاللَّيْلِ﴾<sup>7</sup> ، ﴿وَالضُّحَى﴾<sup>8</sup> ، ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْحُنُوسِ﴾<sup>9</sup> ، وهو كثير الوقوع. وكل هذه السور ابتداء القسم فيها تنويها، بغرض الكلام المسوق للمخاطبين، والإطالة في القسم تشويق إلى المقسم عليه، وتنبيه للمخاطبين لالتماس حكمة المقسم عليه<sup>10</sup>. وقد بين الباحث عبد الله الهتاري هذه العلاقات الموجودة بين المقسم به والمقسم عليه، كعلاقة المشابهة في سورة الضحى، وعلاقة التقابل والتفاوت في سورة الليل، وعلاقة الاستدلال في صورة العصر، وعلاقة السببية في القسم بحياة رسول الله في سورة الحجر<sup>11</sup>.

<sup>1</sup> الطاهر بن عاشور- التحرير والتنوير- ج14- ص: 87

<sup>2</sup> سورة النساء65

<sup>3</sup> الطاهر بن عاشور- التحرير والتنوير - ج29- ص: 179

<sup>4</sup> سورة التين01

<sup>5</sup> سورة الصافات01

<sup>6</sup> سورة الشمس01

<sup>7</sup> سورة الليل01

<sup>8</sup> سورة الضحى01

<sup>9</sup> سورة التكويد15

<sup>10</sup> ينظر: ابن عاشور- التحرير والتنوير- ج30- ص: 420

<sup>11</sup> عبد الله علي عبد الله الهتاري- القسم في القرآن الكريم تركيباً ودلالة- رسالة ماجستير- جامعة اليرموك-1999م-

## محاضرات في علوم القرآن الكريم

والمتدبر لكتاب الله تعالى يستطيع أن يلتمس هذه العلاقة بالنظر في سياق الآيات سابقا ولحاقا، كما يلزمه النظر في السور في سبب نزولها، وخصائصها.

### 4/ أركان القَسَم وصيغته:

للقسم أركان أساسية، اتفق على ثلاثة منها، واختلف في الرابعة<sup>1</sup>، وأشار الباحث مناع القطان على الأركان باسم الصيغ فقال: "فأجزاء صيغة القسم ثلاثة:  
- الفعل الذي يتعدى بالباء. - والمقسم به. والمقسم عليه. ولما كان القسم يكثر في الكلام، اختصر فصار فعل القسم يحذف، ويكتفى بالباء ثم عوّض عن الباء بالواو في الأسماء الظاهرة كقوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾<sup>2</sup>، وبالتاء في لفظ الجلالة كقوله: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَمَكُمُ﴾<sup>3</sup>، وهذا قليل، أما الواو فكثيرة"<sup>4</sup>.

### 5/ أنواع القَسَم: قَسَم إلى قسمين اثنين، إما ظاهر، أو مضمّر<sup>5</sup>

أ/ الظاهر: المصريح به: هو ما صُرح فيه بفعل القسم، وصرح فيه بالمقسم به<sup>6</sup>، وهذا كقوله تعالى  
﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾<sup>7</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾<sup>8</sup>.

ب/ المضمّر: هو ما لم يصرّح فيه بفعل القَسَم، ولا بالمقسم به، وإنما تدلّ عليه اللام المؤكدة التي تدخل على جواب القَسَم<sup>9</sup>، كقوله تعالى: ﴿لَتُبْلَوْنَ فِيْ أَمْوَالِكُمْ﴾<sup>10</sup>، وزاد السيوطي في هذا القسم

<sup>1</sup> ينظر: حسين نصار- القسم في القرآن الكريم- مكتبة الثقافة الدينية- بور سعيد- ط1-1421هـ-2001م- ص:133

<sup>2</sup> سورة الليل 01

<sup>3</sup> سورة الانبياء 57

<sup>4</sup> مناع القطان- مباحث في علوم القرآن- ص:300-301

<sup>5</sup> السيوطي- الإتقان في علوم القرآن- ج4- ص:55، ومناع القطان- مباحث في علوم القرآن- ص:303-304

<sup>6</sup> ص:303

<sup>7</sup> سورة النجم 01

<sup>8</sup> سورة الشمس 01

<sup>9</sup> - مناع القطان- مباحث في علوم القرآن ص:304

<sup>10</sup> سورة آل عمران 186

## محاضرات في علوم القرآن الكريم

نوع ثاني: وهو ما دلّ عليه المعنى نَحْوُ: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾<sup>1</sup>، تقديره "وَاللَّهِ"<sup>2</sup>.

### 6/فائدة وأغراض القَسَمِ العامة في القرآن الكريم:

إنّ الوقوف على أسرار القَسَمِ في القرآن الكريم، يزيد المؤمن تدبّراً في معاني القرآن الكريم، ومنها:

- تقوية الحجّة، فالمحاجة تحتاج إلى إقناع، والقَسَمِ أحد الأساليب المعهودة في كلام العرب.
- توكيد الخبر وتحقيقه<sup>3</sup>، وهذا بحسب مقام المخاطب وحال ذهنه.
- القَسَمِ في القرآن يزيل الشكوك ويحبط الشبهات ويردها<sup>4</sup>
- الدلالة على عِظَمِ المقسم. وهو الله تعالى، بمعرفة عظم المقسم به.

والمقصد الذي يُلتمس من القَسَمِ في القرآن الكريم تتنوّع دلالاته، وأغراضه البلاغية والبيانية، إذ

القَسَمِ جزء من الإعجاز البياني في القرآن الكريم، لأنّ متعلّقه بلغة العرب، والتي أشرنا إليها في هذه المحاضرة بعض مباحثه وليست كلّها.

<sup>1</sup> سورة مريم 71

<sup>2</sup> السيوطي - الإتيان في علوم القرآن - ج4 - ص: 56.

<sup>3</sup> المصدر نفسه - ج4 - ص: 53

<sup>4</sup> مناع القطان - مباحث في علوم القرآن - ص: 302



### المحاضرة التاسعة: شكل المصحف وإعجابه ورسمه

القرآن الكريم هو حياة الأمة الذي يحفظ بقاءها واستمرارها، وهو عصمتها الواقية، وحجتها الباقية، ما إن تمسكت به، فهما وتدبرا وعملا وحكما، وقد عهد الله إلى أمة محمد صلى وسلم عليه بحفظ هذا الذكر، فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾<sup>1</sup>، فنسبة التنزيل والحفظ له، نسبة قدر، ونسبة الحفظ له، نسبة عهد، ومن الحفظ تهيئة أسباب ذلك على مرّ العصور، فهل يعدّ شكل المصحف ورسمه من هذا الحفظ؟ وما هي المصلحة في ذلك؟.

#### 1/ المصحف ودواعي إعجابه

كانت المصاحف عارية من النقط وخالية من الشكل عند السلف الأول، فقد أورد أبو عمر الداني بسنده قال: "حدثنا فارس بن أحمد بن أحمد بن موسى المقرئ قال ثنا أحمد بن محمد قال حدثنا أحمد بن محمد بن عثمان قال حدثنا الفضل بن شاذان قال حدثنا محمد بن عيسى قال حدثنا إبراهيم بن موسى قال أخبرنا الوليد بن مسلم قال حدثنا الأوزاعي قال سمعت يحيى بن أبي كثير يقول كان القرآن مجردا في المصاحف فأول ما أحدثوا فيه النقط على الياء والتاء وقالوا لا بأس به هو نور له ثم أحدثوا فيها نقطا عند منتهى الآي ثم أحدثوا الفواتح والخواتم"<sup>2</sup>.

وخلو المصاحف من النقط والشكل يدلّ على سلامة اللسان عندهم، ثم إن الاحتياج إلى مثل هذا لم تكتمل دواعيه، والصحابة أحرص الناس على كتاب الله تعالى من غيرهم، وقد حكى أبو عمر الداني أنّ في خلو المصاحف وقتئذ كانت له مصلحة - الصحابة وأكابر التابعين - وإنما أخلى الصدر منهم المصاحف من ذلك ومن الشكل من حيث أرادوا الدلالة على بقاء السعة في اللغات

<sup>1</sup> سورة الحجر 09

<sup>2</sup> أبو عمر الداني عثمان بن سعيد - المحكم في نقط المصاحف - تح: عزة حسن - دار الفكر - دمشق - ط2 - 1407هـ -

## محاضرات في علوم القرآن الكريم

والفسحة في القراءات التي أذن الله تعالى لعباده في الأخذ بها والقراءة بما شاءت منها فكان الأمر على ذلك إلى أن حدث في الناس ما أوجب نقطها وشكلها<sup>1</sup>.

### 2/ شكل المصحف ونقطه بين الترخيص والكرهية<sup>2</sup>:

جرى في شكل ونقط المصحف ما جرى في جمعه ابتداءً، فجمعه قد لقي خلافاً بين الصحابة، بل عارض ذلك خليفة رسول الله صلى وسلم عليه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، لأنه لم يهتد إلى وجه المصلحة إلا بعد نظر دقيق ووعي عميق، وهذا واجب وهو المطلوب من ولاة الأمر، ثم جمع أمره لرأي عمر رضي الله عنه، وهو الحال لشكل المصحف فقد نقل الداني عن ابن عمر كراهة ذلك، قال: "عن ابن عمر أنه كان يكره نقط المصاحف قال عثمان وكان فتادة يكره ذلك... وعن أبي الزعراء عن عبد الله قال جردوا القرآن ولا تخلطوه بشيء... وعن الضحاک قال قال عبد الله بن مسعود جردوا القرآن.. وعن شعبة عن أبي رجاء قال سألت محمدًا عن نقط المصاحف فقال إني أخاف أن يزيدوا في الحروف أو ينقصوا"<sup>3</sup>.

ونقل القرطبي أن أشهب قال: سمعت مالكا سئل عن العشور التي تكون في المصحف بالحُمرة وغيرها من الألوان، فكره ذلك وقال: تعشير المصحف بالحبر لا بأس به، وسئل عن المصاحف يكتب فيها خواتم السور في كل سورة ما فيها من آية، قال: إني أكره ذلك في أمهات المصاحف أن يكتب فيها شيء أو يشكّل، فأما ما يتعلّم به العُلَمَانُ مِنَ المَصْحَافِ فَلَا أَرَى بِذَلِكَ بَأْسًا<sup>4</sup> وهذه الكراهة الماثورة عن بعض الصحابة وكبار التابعين قد تحمل على الورع الموجود عند السلف الأول من الصحابة وكبار التابعين، مخافة الزيادة والنقصان من القرآن في كل مرة، فيلبس الأمر على الخلف، وهذا متوقع، لأن الأمة تحفظ القرآن الكريم وميراث الأنبياء عن الصدر الأول، فهم أولى بالتحقيق في مثل ما يحدث لكتاب الله وسنة نبيه، كما أن اللسان كان نقياً على عهده، أو لم تخالطه عجمة، ولم يدخله كدر، فلم يحن الأمر بعد في شكله ونقطه.

<sup>1</sup> المصدر السابق - ص: 03

<sup>2</sup> ينظر أبو عمر الداني عثمان بن سعيد - المحكم في نقط المصاحف - ص - 10-12

<sup>3</sup> المصدر نفسه - ص - 10-11

<sup>4</sup> القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - ج 1 - ص: 63

## محاضرات في علوم القرآن الكريم

ونُقِل رأي يبيح نقط المصحف وشكله ، وهو مأثور عن كبار التابعين كذلك، كالأوزاعي، والحسن البصري<sup>1</sup> ، وهو المنقول عن شيخ مالك ربيعة الرأي، أنه لما سئل عن شكل المصحف قال: " فَقَالَ لَا بَأْسَ بِهِ قَالَ ابْنُ وَهْبٍ وَحَدَّثَنِي اللَّيْثُ قَالَ لَا أَرَى بَأْسًا أَنْ يَنْقُطَ الْمُصْحَفُ بِالْعَرَبِيَّةِ " <sup>2</sup> ، وقد نقل أشهب عن مالك رحمه الله أنه " أَخْرَجَ إِلَيْهِمْ مُصْحَفًا لِحَدِّهِ، كَتَبَهُ إِذْ كَتَبَ عُثْمَانُ الْمُصَاحِفَ، فَرَأَيْنَا خَوَاتِمَهُ مِنْ حَبْرٍ عَلَى عَمَلِ السَّلْسِلَةِ فِي طُولِ السَّطْرِ، ورأيتُه معجوم الآي بالحبر. وقال قتادة: بدءوا فننقطوا ثم خمسوا ثم عَشَرُوا" <sup>3</sup>

### 3/ شكل المصحف ونقطه وتطوره عبر العصور

بعد اتساع رقعة الإسلام، ودخول الأعاجم، اختلط اللسان العربي بالعجمة، وهذا الأمر دعا وُلاة الأمر من المسلمين أن يأخذوا على عاتقهم ما عهد إليهم أسلافهم من حفظ كتاب الله تعالى، ولما دعت الضرورة أن ينقط المصحف ويشكل، فُعل ذلك للمصلحة، واختلف في أول من فعل ذلك من السلف، فذكر ابن عطية الأندلسي والقرطبي أنّ عبد الملك بن مروان أمر به وعمله فتحجّد لذلك الحجاج بواسطة وجد فيه وزاد تحزيبه وأمر وهو والي العراق الحسن ويحيى بن يعمر بذلك، وألّف إثر ذلك بواسطة كتاب في القراءات، جمع فيه ما روي من اختلاف الناس فيما وافق الخط، ومشى الناس على ذلك زمانا طويلا إلى أن ألّف ابن مجاهد كتابه في القراءات<sup>4</sup>.

والمشهور عند الأكثرين أنّ أول من فعل ذلك أبو الأسود الدؤلي بأمر من زياد بن معاوية لما لحن ابنه فقال: يا أبا الأسود إن هذه الحُمراء قد كثرت ، وأفسدت من ألسن العرب ؛ فلو وضعت شيئا يصلح به الناس كلامهم ، ويعربون به كتاب الله تعالى ح فأبي ذلك أبو الأسود وكره إجابة زياد إلى ما سأل فوجه زياد رجلا فقال له أقعد في طريق أبي الأسود فإذا مرّ بك فاقرأ شيئا من القرآن وتعمّد

<sup>1</sup> أبو عمر الداني عثمان بن سعيد- المحكم في نقط المصاحف-ص:12

<sup>2</sup> المصدر نفسه- ص:13

<sup>3</sup> القرطبي- الجامع لأحكام القرآن- ج1- ص:63

<sup>4</sup> ابن عطية الأندلسي- المحرر الوجيز- ج1- ص:50، والقرطبي- الجامع لأحكام القرآن- ج1- ص:63

## محاضرات في علوم القرآن الكريم

اللَّحْن فِيهِ فَفَعَلَ ذَلِكَ فَلَمَّا مَرَّ بِهِ أَبُو الْأَسْوَدَ رَفَعَ الرَّجُلَ صَوْتَهُ فَقَالَ ﴿ أَنْ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾<sup>1</sup> - بكسر لام الرسول-.

وقد وُفِّقَ الباحث عبد العظيم الزرقاني بين الأقوال، فقال: " بأنَّ أبا الأسود أوَّل من نقط المصحف، ولكن بصفة فردية، ثم تبعه ابن سيرين، وأنَّ عبد الملك أوَّل من نقط المصحف، ولكن بصفة رسمية عامة ذاعت وشاعت بين الناس دفعا للبس والإشكال عنهم في قراءة القرآن"<sup>2</sup>. وهذا أمر عظيم، ووجه الكراهة ابتداء يحمل على ما حملنا عليه كراهة السلف قبله لشكل المصحف ونقطه، ولكنَّ أبا الأسود اهتدى إلى وجه المصلحة لما استعظم الأمر، وعلم أنَّها مسؤولية في أعناقهم، وأنَّ الله سائلهم يوم القيامة، فقال: "عزَّ وجه الله أن يبرأ من رسولِهِ ثُمَّ رَجَعَ من فوره إلى زياد فَقَالَ يَا هَذَا قَدْ أَجَبْتُكَ إِلَى مَا سَأَلْتَ وَرَأَيْتُ أَنْ أَبْدَأَ بِأَعْرَابِ الْقُرْآنِ إِلَى ثَلَاثِينَ رَجُلًا فَأَحْضَرَهُمْ زِيَادَ فَأَخْتَارَ مِنْهُمْ أَبُو الْأَسْوَدَ عَشْرَةَ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَخْتَارُ مِنْهُمْ حَتَّى اخْتَارَ رَجُلًا مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ فَقَالَ: خُذِ الْمُصْحَفَ وَصَبِغًا يُخَالِفُ لَوْنَ الْمَدَادِ، فَإِذَا فَتَحْتَ شَفْتِي فَانْقُطْ وَاحِدَةً فَوْقَ الْحَرْفِ، وَإِذَا ضَمَمْتَهُمَا فَاجْعَلِ النُّقْطَةَ إِلَى جَانِبِ الْحَرْفِ، وَإِذَا كَسَرْتَهُمَا فَاجْعَلِ النُّقْطَةَ فِي أَسْفَلِهِ فَإِنْ اتَّبَعْتَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْحَرَكَاتِ غَنَّةً فَانْقُطْ نَقْطَتَيْنِ فابتداءً بالمصحف حَتَّى أَتَى عَلَى آخِرِهِ"<sup>3</sup>.

### ❖ رسم المصحف

حفظ القرآن الكريم حفظين، حفظ صدر وحفظ سطر، في عهد التنزيل، ثم جمع أبو بكر القرآن في مصحف واحد<sup>4</sup>، ثم أعاد عثمان ابن عفان كتابة القرآن الكريم مرّة ثانية للمصلحة العامة، وهي حفظ كلمة الأمة، وجمعها على قلب مصحف واحد؛ لئلا يدب إليهم داء الأمم من قبلهم من التفرق والتشردم، وهذا الرسم هو الموجود عليه المصاحف اليوم، هو المسمى

<sup>1</sup> أبو عمر الداني - المحكم في نقط المصاحف-ص:03

<sup>2</sup> عبد العظيم الزرقاني- مناهل العرفان في علوم القرآن- ج1- ص:407

أبو عمر الداني - المحكم في نقط المصاحف-ص:04، ومحمد سالم بن سعيد العوفي- تطور كتابة المصحف الشريف وطباعته- ص:05

<sup>4</sup> ينظر: شعبان محمد إسماعيل- رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة- دار السلام - ط2- دت-

## محاضرات في علوم القرآن الكريم

بالرسم العثماني، فهل هذا الرسم توقيفي أم اصطلاحى؟ وهل يجوز أن نغير فيه اليوم زيادة ونقصا بعد هذا التطور أم لا؟

➤ الرسم: أصله الأثر. أي: أثر الكتابة في اللفظ<sup>1</sup>.

ومعناه: تصوير الكلمة بحروف هجائها، بتقدير الابتداء بها والوقف عليها<sup>2</sup>.

### 1/ القاعدة العربية في الكتابة:

والكتابة في الأصل أتمها تعتمد على منطوق حروف الكلمة، دون زيادة أو نقصان، أو إبدال أو حذف<sup>3</sup>، ولكن الإشكال الذي وُجد في المصحف من طريق الرسم أنّ بعض الكلمات والحروف وجدت مخالفة لهذه القاعدة، قال السيوطي: "القاعدة العربية أنّ اللفظ يُكتب بحروف هجائية مع مراعاة الابتداء والوقوف عليه وقد مهد النحاة له أصولاً وقواعداً وقد خالفها في بعض الحروف خطأ المصحف الإمام"<sup>4</sup>.

وقد يُستشكل هذا على بعض الناس، وهو كيف للصحابة أن يخالفوا قواعد الكتابة، ولكنّ المعلوم أنّ صحابة رسول الله صلى وسلم عليه، كانوا أروع الناس في دينهم، وأكثرهم حرصاً على اللسان العربي، ومن هنا نلتبس أنّ هنالك حكمة وسراً في الكتابة، ولذا الرسم أصبح فيما بعد علماً من العلوم التي تدرس مع القرآن الكريم، وقد أفردته بالتأليف بعض العلماء، "كأبي عمر الداني إذ ألّف فيه كتابه المسمى "المقنع". ومنهم العلامة أبو عباس المراكشي إذ ألّف كتاباً أسماه: "عنوان الدليل في رسوم خط التنزيل". ومنهم العلامة الشيخ محمد بن أحمد الشهير بالمتولي إذ نظم أرجوزة سماها "اللؤلؤ المنظوم في ذكر جملة من المرسوم"، ثم جاء العلامة المرحوم الشيخ محمد خلف الحسيني شيخ المقارء بالديار المصرية فشرح تلك المنظومة، وذيّل الشرح بكتاب سماه "مرشد الحيران إلى معرفة ما يجب اتّباعه في رسم القرآن"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> المرجع السابق - ص: 37

<sup>2</sup> شعبان محمد إسماعيل - رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة - ص: 37

<sup>3</sup> عبد العظيم الزرقاني - مناهل العرفان في علوم القرآن - ج1 - ص: 369، وشعبان محمد إسماعيل - رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة - ص: 37

<sup>4</sup> السيوطي - الإتقان في علوم القرآن - ج4 - ص: 168

<sup>5</sup> عبد العظيم الزرقاني - مناهل العرفان في علوم القرآن - ج1 - ص: 369

### 3/ قواعد رسم المصحف:

وللرسم قواعد قَعْدَها من ألفوا في رسم المصحف، استنبطوها من الرسم الذي وُجِدَ عليه مصحف الإمام، وحصروها في ستّة قواعد، وهي: " الحذف، والزيادة، والهمز، والبدل، والفصل والوصل، وما فيه قراءتان متواترتان وكتب على إحداهما"<sup>1</sup>. وسنوجز القول في الأمثلة.

#### ✓ قاعدة الحذف:

وتحذف الألف من " ياء النداء" ← نحو: "يأيها الناس"، "يا آدم"، "يارب" ← يَأَيُّهَا النَّاسُ.

وتحذف من "ها" التنبيه نحو {هَا أَنْتُمْ} ← هَاتُمَّ ، ومن كلمة "نا"، إذا وليها ضمير نحو : {أَجْنِيَاكُمْ} ← أَجْنِيَاكُمْ ، ومن لفظ الجلالة {اللَّهِ} ← اللَّهُ ، ومن كلمة {إِلَهِ} ← إِلَهِهَا ، ومن لفظي {الرَّحْمَنِ وَسُبْحَانَ} ← الرَّحْمَنُ، سُبْحَانَ<sup>2</sup> ، وغير هذه الأمثلة، وقد تخالف هذه القاعدة فليست على إطلاقها.

#### ✓ قاعدة الزيادة.

خلاصتها أنّ الألف تزداد بعد الواو في آخر كل اسم مجموع ، أو في حكم المجموع نحو: ﴿أولوا الأبواب﴾ ← أولوا الألباب ، وبعد الهمزة المرسومة "واوا" نحو: ﴿تَاللَّهِ تَفْتَأُ﴾ فإنّها ترسم هكذا : تَاللَّهِ تَفْتَأُ. وفي كلمات مائة ومائتين ، والظنون، والرسول، والسبيل في قوله تعالى: ﴿ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونُ﴾<sup>3</sup> . ﴿ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾<sup>4</sup> . ﴿ فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾<sup>5</sup> ، وتزداد "الياء" في هذه الكلمات: { آتَاءَ، مِنْ تِلْقَاءَ، بِأَيْكُمْ الْمَفْتُونُ، بِأَيْدٍ } [ مِنْ تَلْقَائِي - ءَأَنَايِ الْيَلِ - بِأَيْكُمْ الْمَفْتُونُ ] من

<sup>1</sup> السيوطي - الإتقان في علوم القرآن - ج4 - ص: 169

<sup>2</sup> المصدر نفسه - ج4 - 169، وعبد العظيم الزرقاني - مناهل العرفان في علوم القرآن - ج1 - ص: 370

<sup>3</sup> سورة الأحزاب 10

<sup>4</sup> سورة الأحزاب 66

<sup>5</sup> سورة الأحزاب 67

## محاضرات في علوم القرآن الكريم

قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾<sup>1</sup>. وتزاد الواو في نحو {أُولُوا، أُولَئِكَ، أُولَآءِ} [أُولَئِكَ - أُولُوا - أُولَآءِ -]<sup>2</sup>.

### ✓ قاعدة الهمز

خلاصتها أنّ "الهمزة" إذا كانت ساكنة تكتب بحرف حركة ما قبلها نحو {أُذِّنْ، أُؤْتِمِّنْ} ← [أُذِّنْ - أُؤْتِمِّنْ]، إلا ما استثني. أمّا الهمزة المتحركة ، فإن كانت أول الكلمة واتصل بها حرف زائد ، كتبت بالألف مطلقا سواء أكانت مفتوحة أم مكسورة نحو {أُولُوا، إِذَا، فَبِأَيِّ} ← [أُولُوا - فَبِأَيِّ - إِذَا] إلا ما استثني<sup>3</sup>. وغير هذه القواعد في هذا القسم.

### ✓ قاعدة البدل:

أنّ "الألف" تكتب "واوا"، للتفخيم في مثل "الصلاة، والزكاة، والحياة" إلا ما استثني<sup>4</sup> [الصلوة - الزكوة - الحيوة]، وغير هذه القواعد في هذا القسم.

### ✓ قاعدة الوصل والفصل:

خلاصتها أنّ كلمة "أنّ" بفتح الهمزة توصل بكلمة "لا" إذا وقعت بعدها. ويستثنى من ذلك عشرة مواضع. منها: ﴿أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾<sup>5،6</sup>.

<sup>1</sup>سورة الذاريات 47

<sup>2</sup>عبد العظيم الزرقاني - مناهل العرفان في علوم القرآن - ج1 - ص: 370

<sup>3</sup>السيوطي - الإتقان في علوم القرآن - ج4 - ص: 169، وعبد العظيم الزرقاني - مناهل العرفان في علوم القرآن - ج1 - ص: 371

<sup>4</sup>عبد العظيم الزرقاني - مناهل العرفان في علوم القرآن - ج1 - ص: 371

<sup>5</sup>سورة الأعراف 169

<sup>6</sup>السيوطي - الإتقان في علوم القرآن - ج4 - ص: 178، وعبد العظيم الزرقاني - مناهل العرفان في علوم القرآن - ج1 - ص: 372

خلاصتها أنّ الكلمة إذا قرئت على وجهين تكتب برسم أحدهما كما رسمت الكلمات الآتية بلا ألف في المصحف وهي: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ، يُخَادِعُونَ اللَّهَ، وَوَاعَدْنَا مُوسَى، تُفَادُوهُمْ} ← [مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ- يُخَادِعُونَ اللَّهَ- وَوَاعَدْنَا مُوسَى- تُفَادُوهُمْ]، ونحوها، وكلّها مقروءة بإثبات الألف وحذفها<sup>1</sup>.

واختلف في رسم المصحف هل هو توقيفي أم اصطلاحي؟، ويظهر أثر هذا الاختلاف اليوم وما يحدث من تطوّر للكتابة، فهل نستطيع أن نخالف الرسم العثماني تحقيقاً لمصلحة اقتضت ذلك أم لا؟

وحاصل القول في هذا الخلاف أنّه انقسمت الأقوال إلى ثلاثة مذاهب:

### المذهب الأول:

قالوا: أنّ رسم المصحف توقيفي لا يجوز تغييره، وتحرم مخالفته، شأنه في ذلك شأن ترتيب سور القرآن وآياته، لا يجوز لنا أن نقدّم أو نؤخر منها شيئاً. وهو مذهب جمهور الأمة سلفاً وخلفاً، ونقل كثير من العلماء الإجماع على ذلك<sup>2</sup>.

ونقل السيوطي هذا عن ابن فارس: "إِنَّ الحُطَّ تَوْقِيفِيٌّ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾"<sup>3</sup>، وقوله تعالى: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾<sup>4</sup>، وَإِنَّ هَذِهِ الحُرُوفَ دَاخِلَةٌ فِي الأَسْمَاءِ الَّتِي عَلَّمَ اللَّهُ آدَمَ"<sup>5</sup>. وهو ما نقله أشهب عن مالك قال: سئِلَ مَالِكٌ: هَلْ يُكْتَبُ المُصْحَفُ عَلَى مَا أَحَدَثَهُ النَّاسُ مِنَ المِجَازِ؟ فَقَالَ: لَا إِلَّا عَلَى الكِتَابَةِ الأُولَى رَوَاهُ الدَّائِي فِي المُنْعِجِ، ثُمَّ قَالَ وَلَا مُخَالَفَ لَهُ مِنْ عُلَمَاءِ الأُمَّةِ<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> عبد العظيم الزرقاني - مناهل العرفان في علوم القرآن - ج1 - ص: 372

<sup>2</sup> شعبان محمد إسماعيل - رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة - ص: 63

<sup>3</sup> سورة العلق 4-5

<sup>4</sup> سورة القلم 01

<sup>5</sup> السيوطي - الإتقان في علوم القرآن - ج4 - ص: 168

<sup>6</sup> المصدر نفسه - ج4 - ص: 168

### المذهب الثاني:

قالوا: أن رسم المصحف ليس توقيفياً، وأنه لا مانع من تغيير هذا الرسم حسبما تقتضيه قواعد الرسم الحديثة<sup>1</sup>.

ومن ناصر هذه المذهب: أبو بكر الباقلاني قال: "مضمونه ولحنه أن رسم القرآن وخطه لا يجوز إلا على وجه مخصوصٍ وحدٍ محدود، ولا يجوز تجاوزه إلى غيره، ولا في نص السنة أيضاً ما يُوجب ذلك ويدل عليه، ولا هو مما أجمعت عليه الأمة بل السنة قد دلت على جواز كتبه بأي رسم سهلٍ وسنحٍ للكاتب،"<sup>2</sup> وابن خلدون، وكثير من العلماء المعاصرين<sup>3</sup>.

**المذهب الثالث:** جواز كتابته بالرسم الحديث لعامة الناس حسب قواعد الخط في أي عصر، مع الإبقاء على الرسم العثماني والمحافظة عليه للعلماء والخاصة، كأثر من الآثار النفيسة التي حافظت عليها الأجيال المتعاقبة<sup>4</sup>.

ومن ناصر هذا المذهب: الشيخ عز الدين بن عبد السلام، وبدر الدين الزركشي<sup>5</sup>.

6 ما تشهد الأمة من تطور في الكتابة والخطوط والطباعة، فقد تكفلت بعض الجامعات الفقهية بمراجعة هذه المستجدات، وأصدرت فتاوى تحفظ بها للأمة ثوابتها، وترعى المتغيرات التي تحدث لها، ومن شاء فليراجع ذلك في مظانه. كما يجب على طلاب الدراسات القرآنية أن يطلعوا على

<sup>1</sup> شعبان محمد إسماعيل - رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة - ص: 63

<sup>2</sup> الباقلاني أبو بكر - الانتصار للقرآن - تح: محمد عصام القضاة - دار الفتح عمان - دار ابن حزم - بيروت - ط1 - 1422هـ - 2001م - ج2 - ص: 548

<sup>3</sup> شعبان محمد إسماعيل - رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة - ص: 63

<sup>4</sup> المرجع نفسه - ص: 63

<sup>5</sup> عبد العظيم الزرقاني - مناهل العرفان في علوم القرآن - ج1 - ص: 372، و شعبان محمد إسماعيل - رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة - ص: 63

<sup>6</sup> ذكر هذه القرارات للمجمع الفقهي الباحث: شعبان محمد إسماعيل - رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة - ص: 81 وما بعدها.

الشبهات التي أثارها المستشرقون حول الرسم العثماني، وقد ردّها الباحث عبد العظيم الزرقاني<sup>1</sup>،  
ليزداد بصيرة حول موضوع الرسم العثماني، ويحصّن نفسه عمّا يعرض للأمة من شبهات .

---

<sup>1</sup> ينظر: عبد العظيم الزرقاني - مناهل العرفان في علوم القرآن - ج1 - ص: 386

خاتمة

### خاتمة:

بعد عرضنا لمحاضرات مقياس علوم القرآن، نحاول أن نذكر جملة من النتائج تكون عامة لكل محاضرة، تبرز مدى تحقيق الأهداف التي أردنا الوصول إليها :

✓ ضرورة تمحيص الناقل من كتب التفسير فيما يخص موضوع الإسرائيليات، وذلك بالتفريق بين أقسامها.

✓ التفريق بين المحكم والمتشابه العام والخاص، وموقف المسلم من وجود المتشابه في القرآن الكريم.

✓ معرفة ظاهرة الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، وربطها بجانب الإعجاز اللغوي من خلال الوقوف على التفسير الموضوعي للمفردة القرآنية.

✓ كثرة الوضع في التفسير سبب من أسباب ضعفه، ولذا لا بدّ من معرفة جهود العلماء في كشف الوضع.

✓ منهج القرآن الكريم في جدال المخالفين والخصوم منهج فريد من خلال الاستدلال على مختلف المواضيع، استمدّد ذلك من الخصائص المتنوعة له للتأثير والإقناع.

✓ وجود القصص والأمثال القرآنية في القرآن الكريم، يجعل المتدبر يقف على مقاصدهما للاعتبار والاستبصار.

✓ القسم في القرآن الكريم له أغراضه، ولا يتمّ إلاّ بمعرفة سنن العرب في كلامها، لنذكر وجه الإعجاز فيه.

هذا ما أردت الوصول إليه من أهداف تبلغ بالطالب إلى التحصيل العلمي والتحصين الفكري ، ونسأل الله التوفيق في القصد لبلوغ المقصود، وأعتذر انتهاء لما وقع في هذا العمل لما علق به من زلل، وأوصي بما أوصى به خليل المالكي-رحمه الله- إذ قال: " ثُمَّ أَعْتَذِرُ لِذَوِي الْأَبَابِ مِنَ التَّفْصِيرِ الْوَاقِعِ

## محاضرات في علوم القرآن الكريم

---

في هذا الكتاب ، وأسأل بلسان التضرع والخشوع وخطاب التذلل والخضوع أن يُنظر بعين الرضا والصواب؛ فما كان من نقص كملوه ومن خطأ أصلحوه، فقلما يخلص مصنف من الهفوات أو ينجو

مؤلف من العثرات". خليل بن إسحاق المالكي-مختصر العلامة خليل-ص: 12

---

# فهرس الأءادفء

## فهرس المصادر والمراجع

### فهرس الأحاديث

ر	الراوي	نص الحديث	التخريج ص
01	أبو هريرة τ	لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ	08 البخاري
02	عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو τ	«بَلَّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»	08 الترمذي
03	τ	:«اللَّهُمَّ فَفِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ	39 المسند لأحمد
04	أبو موسى الأشعري	الِاسْتِئْذَانُ ثَلَاثٌ. فَإِنْ أَدِنَ لَكَ فَادْخُلْ وَإِلَّا فَارْجِعْ	40 الموطأ
05	أبو هريرة	" أَعْرَبُوا الْقُرْآنَ، وَاتَّبِعُوا غَرَائِبَهُ وَغَرَائِبُهُ فَرَائِضُهُ وَحُدُودُهُ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ عَلَى خَمْسَةِ أَوْجِهٍ: حَلَالٍ وَحَرَامٍ وَمُحْكَمٍ وَمُتَشَابِهٍ وَأَمْثَالٍ، فَاعْمَلُوا بِالْحَلَالِ وَاجْتَنِبُوا الْحَرَامَ وَاتَّبِعُوا الْمُحْكَمَ وَآمِنُوا بِالْمُتَشَابِهِ وَاعْتَبِرُوا بِالْأَمْثَالِ.	78 البهقي- شعب الإيمان-

❖ فهرس المصادر

والمراجع

❖ فهرس

المحتويات

❖ القرآن الكرم برواة حفص عن عاصم

I. كتب الحديث وشروحه

1/ مالك بن أنس - الموطأ - تح: محمد مصطفى الأعظمي - مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان - أبو ظبي - الإمارات - ط 1-1425-2004م

2/ أحمد بن حنبل - المسند - تح: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون - إشراف: عبد الله عبد المحسن التركي - مؤسسة الرسالة - ط 1-4-21هـ-2001م -

3/ البخاري محمد ابن إسماعيل - صحيح البخاري - تح: محمد زهير بن ناصر الناصر - دار طوق النجاة - ط 1-1422هـ

4/ البيهقي أحمد بن الحسين - شعب الإيمان - حققه وراجع نصوصه: عبد العلي عبد الحميد حامد - أشرف على تحقيقه: مختار أحمد الندوي صاحب الدار السلفية بومباي - الهند - مكتبة الرشد للنشر والتوزيع - الرياض - ط 1-1423هـ-2003م

5/ ابن كثير أبو الفداء - اختصار علوم الحديث - تح: أحمد محمد شاكر - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط 2- دت

6/ ابن حجر العسقلاني - فتح الباري شرح صحيح البخاري - رقم كتبه وأبوابه: محمد فؤاد عبد الباقي - قام بإخراجه وصححه: محب الدين الخطيب - عليه تعليقات ابن باز - دار المعرفة - بيروت - 1379هـ.

## فهرس المصادر والمراجع

7/ ابن حجر العسقلاني- تهذيب التهذيب- مطبعة دائرة المعارف النظامية- الهند- ط 1- 1326هـ.

8/ علي الملا الهروي- مرقة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح- دار الفكر- بيروت- لبنان- ط 1- 1422هـ- 2002م.

### كتب التفسير وأصوله

1/ ابن أبي حاتم الرازي- تفسير القرآن العظيم- تح: أسعد محمد الطيب- مكتبة نزار مصطفى الباز- المملكة العربية السعودية- ط 3- 1419هـ-

2/ الجصاص أحمد بن علي- أحكام القرآن- تح: عبد السلام محمد علي شاهين- دار الكتب العلمية- بيروت- ط 1- 1415هـ- 1994م.

3/ الثعلبي أبو إسحاق- الكشف والبيان عن تفسير القرآن- تح: الإمام أبي محمد بن عاشور- راجعه ودققه: نظير الساعدي- دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان- ط 1- 1422هـ- 2002م

4/ الراغب الأصفهاني- تفسير الراغب الأصفهاني- تح: عادل بن علي الشدي- دار الوطن- الرياض- ط 1- 1424هـ- 2003م

5/ الزمخشري أبو القاسم- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل- دار الكتاب العربي- بيروت- ط 3- 1407هـ

6/ ابن عطية عبد الحق- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز- تح: عبد السلام عبد الشافي محمد- دار الكتب العلمية- بيروت- ط 1- 1422هـ

## فهرس المصادر والمراجع

- 7/ محمد جمال الدين الجوزي- زاد المسير في علم التفسير- تح: عبد الرزاق المهدي- دار الكتاب العربي- بيروت- ط1-1422هـ.
- 8/ الفخر الرزي- مفاتيح الغيب- التفسير الكبير- دار إحياء التراث العربي- بيروت- ط3-1420هـ.
- 9/ القرطبي أبو عبد الله- الجامع لأحكام القرآن- تفسير القرطبي- تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش- دار الكتب المصرية- القاهرة- ط2-1384هـ-1964م.
- 10/ البيضاوي ناصر الدين- أنوار التنزيل وأسرار التأويل- تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي- دار إحياء التراث العربي- بيروت- ط1-1418هـ.
- 11/ ابن جزي الغرناطي- التسهيل لعلوم التنزيل- تح: عبد الله الخالدي- شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم- بيروت- ط1-1416هـ.
- 12/ أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط في التفسير- تح: صدقي محمد جميل- دار الفكر- بيروت- ط-1420هـ
- 13/ الثعالبي عبد الرحمن- الجواهر الحسان في تفسير القرآن- تح: محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود- دار إحياء التراث العربي- بيروت- ط1-1418هـ.
- 14/ الطاهر بن عاشور- التحرير والتنوير-الدار التونسية للنشر- تونس- 1984م.
- 15/ محمد متولي الشعراوي- تفسير الشعراوي- الخواطر- مطابع أخبار اليوم- دط- دت

### أصول التفسير

- 1/ عبد الحلیم ابن تیمیة- مقدمة في أصول التفسير- دار مكتبة الحياة- بيروت- لبنان- ط- 1490هـ-1980م.
- 2/ محمد حسين الذهبي- التفسير والمفسرون- مكتبة وهبة- القاهرة- ط- دت.
- 3/ أبو شهبة- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير- مكتبة السنة- ط 4- دت.
- 4/ ابن القاسم عبد الرحمن النجدي- حاشية مقدمة التفسير- ط- ط 2- 1410هـ-1990م.

### كتب اللغة

- 1/ الجوهري أبو نصر- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية- تح: أحمد عبد الغفور عطار- دار العلم للملايين- بيروت- ط 4- 1407-1987م.
- 2/ أبو بكر الحنفي الرازي- مختار الصحاح- تح: يوسف الشيخ محمد- المكتبة العصرية- الدار النموذجية- بيروت- صيدا- ط 5- 1420هـ-1999م.
- 3/ ابن منظور الأنصاري- لسان العرب- دار صادر- بيروت- لبنان- ط 3- 1414 هـ
- 4/ الفيومي أحمد - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير- المكتبة العلمية- بيروت- دت .

### كتب الفقه والأصول

1/الكاساني علاء الدين الحنفي- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع- دار الكتب العلمية- ط1-1406ه-1986م.

2/الشاطبي إبراهيم بن موسى -الموافقات- تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان- دار ابن عفان- ط1-1417ه-1997م.

### كتب علوم القرآن

1/يحيى بن سلام الإفريقي- التصاريف لتفسير القرآن مما اشتهت أسماؤه وتصرفت معانيه- تح: هند شلبي- الشركة التونسية للتوزيع-1979م

2/الباقلاني أبو بكر- إعجاز القرآن- تح: السيد أحمد صقر- دار المعارف- مصر- ط5- 1997م

3/الباقلاني أبو بكر- الإنتصار للقرآن- تح: محمد العصام القضاة- دار الفتح- عمان- دار ابن حزم - بيروت- ط1-1422ه-2001م

4/أبو عمر الداني عثمان بن سعيد- المحكم في نقط المصاحف- تح: عزة حسن- دار الفكر- دمشق- ط2-1407ه

5/جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر- تح: محمد عبد الكريم كاظم الراضي- مؤسسة الرسالة- بيروت- لبنان- ط1-1404ه-1984م.

## فهرس المصادر والمراجع

- 6/الراغب الأصفهاني- المفردات في غريب القرآن- تح: صفوان عدنان الداودي- دار القلم-الدار الشامية- دمشق- بيروت- ط1-1412هـ.
- 7/أبو حامد الغزالي- جواهر القرآن- تح: محمد رشيد رضا القباني- دار إحياء العلوم- بيروت- ط2-1406-1986م-
- 8/أبو الفرج ناصر الدين بن الحنبلي - استخراج الجدل من القرآن الكريم- تح: زاهر بن عوض الألمي- مطابع الفرزدق التجارية- ط2- 1401هـ.
- 9/نجم الدين الطوفي - علم الجدل في علم الجدل- تح: قولفهارت هاينريشس- النشرات الإسلامية32- بطلب دار النشر فرانز شتاينر بقبسبادن-1408-1987م- طبع بمساعدة مؤسسة الأبحاث العلمية الألمانية بإشراف المعهد الألماني للأبحاث الشرقية- بيروت-دط- دت.
- 10/ابن القيم الجوزية- الأمثال في القرآن- تح: أبو حذيفة إبراهيم بن محمد- مكتبة الصحابة- طنطا- مصر- ط1-1406هـ-1986م
- 11/الزركشي بدر الدين- البرهان في علوم القرآن- تح: محمد أبو الفضل إبراهيم- دار إحياء الكتب العربية- عيسى البابي الحلبي وشركائه- ثم صورته دار المعرفة - لبنان- ط1- 1376هـ-1957م.
- 12/-/الإتقان في علوم القرآن-تح: محمد أبو الفضل إبراهيم- الهيئة المصرية العامة للكتاب- 1394هـ-1974م

## فهرس المصادر والمراجع

- 13/مصطفى صادق الراقعي- إجاز القرآن والبلاغة النبوية- دار الكتاب العربي- بيروت- ط8-1425ه-2005م.
- 14/فهد الرومي- دراسات في علوم القرآن الكريم- ط12- 1424ه-2003م.
- 15/عبد العال سالم مكرم- المشترك اللفظي في الحقل القرآني- مؤسسة الرسالة- بيروت- ط2-1417ه.
- 16/مناهج جامعة المدينة العالمية- الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم- جامعة المدينة العالمية- دط-دت-
- 17/مناهج جامعة المدينة العالمية- الدخيل في التفسير- ماجستير- جامعة المدينة العالمية- دط-دت.
- 18/عثمان علي حسن- منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد- دار إشبيلية- السعودية- ط1-1420ه-1999م
- 19/زاهر عواض الألمي- مناهج الجدل في القرآن الكريم- ط1-1399-وط2-1400، وط3-1404ه.
- 20/عثمان علي حسن- الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد- دار إشبيلية-الرياض- السعودية- ط1-1420-1999م-
- 21/ عبد الكريم الخطيب- القصص القرآني في منطوقه ومفهومه- دار المعرفة- بيروت- لبنان- ط2-1395ه-1975م.

## فهرس المصادر والمراجع

22/ عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع- الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله-  
عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة- المملكة العربية السعودية- ط 1-  
1424هـ-2003م.

23/ محمد إسماعيل- رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة- دار  
السلام - ط 2- دت.-

24/ حسين نصار- القسم في القرآن الكريم- مكتبة الثقافة الدينية- بور سعيد- ط 1-  
1421هـ-2001م.

### كتب أخرى

1/ ابن عساكر أبو القاسم- تاريخ دمشق- تح: عمر بن غرامة العمروي- دار الفكر للطباعة  
والنشر- 1415هـ-1995م.

2/ عبد القاهر البغدادي- الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية- دار الآفاق الجديدة-  
بيروت- ط 2- 1977م.

3/ محمد البنا الساعاتي- نظرات في كتاب الله- دار التوزيع والنشر الإسلامية- القاهرة-  
1423هـ-2002م.

### الرسائل العلمية:

1/ عبد الله علي عبد الله الهتاري- القسم في القرآن الكريم تركيباً ودلالة- رسالة ماجستير-  
جامعة اليرموك- 1999م..

## فهرس المحتويات

الموضوع.....الصفحة

3-1.....مقدمة. ❖

04.....خريطة مفاهيمية ❖

06. \*\*\*\* المحاضرة الأولى: الإسرائيليات في التفسير \*\*\*\*

06.....1 / مصادر التفسير.....

07.....2/ قاعدة ابن تيمية في التفسير.....

08.....3/ أقسام الإسرائيليات في التفسير.....

09.....أ/ من مصادر التفسير- النقل عن أهل الكتاب -.....

11.....ب/ أقسام الإسرائيليات.....

12 \*\*\*\* المحاضرة الثانية: المحكم والمتشابه في القرآن الكريم \*\*\*\*

12.....1/ الألفاظ والمعاني بين الخفاء والوضوح.....

13.....أ/ المحكم والمتشابه في اللغة.....

14.....2/ وجود المحكم والمتشابه في القرآن الكريم.....

14.....أ/ تحرير محل النزاع.....

15.....ب/ الإحكام والتشابه العام.....

- 18..... 3/ آراء العلماء في المحكم والمتشابه الخاص
- 19..... 4/ موقف المسلم من المحكم والمتشابه في القرآن الكريم
- 20..... 5/ ثمة معرفة المتشابه .....

### \*\*\*\* المحاضرة الثالثة: الوجوه والنظائر في القرآن الكريم \*\*\*\* 22

- 22..... 1/ المقصود بالوجوه والنظائر
- 22..... 2/ ظاهرة الوجوه والنظائر في القرآن الكريم
- 23..... أ/ أسباب اشتغال القرآن الكريم على الوجوه والنظائر
- 23..... ب/ أهمية الوجوه والنظائر للمفسر
- 24..... ج/ العلاقة بين المعاني اللغوية والوجوه والنظائر
- 24..... 3/ دواعي التأليف في الوجوه والنظائر
- 26..... 4/ المصنفات في الوجوه والنظائر
- 27..... 5/ أمثلة الوجوه والنظائر في القرآن الكريم

### \*\*\*\* المحاضرة الرابعة: الـوضع في التفسير \*\*\*\* 34

- 34..... 1/ التفسير بين الأصيل والدخيل
- 35..... 2/ التفسير بين القوة والضعف
- 40..... 3/ أثر الوضع في التفسير
- 41..... 4/ جهود العلماء في الكشف عن الوضع

- 1/ الجدل في القرآن ..... 42
- أ/ المدلول اللغوي والاصطلاحي للجدل ..... 43
- 2/ التفسير الموضوعي لكلمة الجدل في القرآن الكريم ..... 44
- 3/ في أول من سن الجدل ..... 45
- 4/ الاستدلال القرآني وعلاقته بالجدل ..... 46
- أ/ من مسالك القرآن في الاستدلال جدالا للخصوم ..... 48
- 1- السبر والتقسيم ..... 48
- 2- الاستفهام التقريري ..... 49
- 3- مجازة الخصم ..... 50
- 4- قياس الخلف ..... 50
- 5- الانتقال ..... 51
- 5 خصائص الجدل القرآني ..... 51
- أ / قوة الحجة ووضوح الحجة ..... 51
- ب- التنوع والتدرج في المجادلة ..... 52
- ج./ التركيز على العقل في الجدل ..... 52

52..... د/سمو ثمة الجدل مقام الجدل القرآني

53..... 6/ الاستدلال القرآني على المعاد الجسماني

53..... أ/ التذكير بالإخراج من العدم إلى الوجود

54..... ب/ قياس الإعادة على خلق السموات والارض بطريق أولى

54..... ج/ قياس الإعادة على إحياء الأرض بعد موتها

55..... د/ قياس الإعادة على إخراج الحي من الميت والعكس

### 58 \*\*\*\*\* المحاضرة السادسة: القصة في القرآن الكريم. \*\*\*\*\*

58..... 1/ تعريف القصص

59..... 2/ اعتبار القصص من مقاصد القرآن الكريم

60..... 3/ وجه الإعجاز في القصص القرآني

62..... أ/ القصة في الحياة العربية

63..... ب/ القصة بين الواقع والخيال

63..... ج- الأسلوب والعرض

64..... د/ سمو ثمة القصص القرآني

65..... 4- من مقاصد القصص القرآني

65..... أ/ التعريف بالحق وأهله وبالباطل وحزبه

66..... ب- النظر في السنن الكونية للاعتبار والاستبصار

ج - تقوية جانب الأمة الإسلامية لتكون مرهوبة غير مرغوبة ..... 67

5- تكرار القصص القرآني ..... 68

أ/ أكتمال غرض القصة بتعدد المناسبة ..... 69

ب/ رسوخها في الأذهان بتكريرها ..... 69

ج/ تثبيت فؤاد النبي صلى وسلم عليه والمومنين ..... 70

6/ مقاصد قصة يوسف من المطع إلى المقطع ..... 70

أ/ مقصد الصراع بين أهل الحق وأهل الباطل ..... 71

ب/ مقصد الصبر على الابتلاء سبب للتمكين في الأرض ..... 71

ج/ مقصد أخذ العبرة من القصة من نواح مختلفة ..... 72

د/ مقصد تسلية النبي صلى وسلم عليه ..... 73

## 75 \*\*\*\*المحاضرة السابعة: الأمثال في القرآن الكريم\*\*\*

1/ تعريف الأمثال ..... 75

2/ ضرب الأمثال ..... 76

3/ ضرورة معرفة علم الأمثال للمفسر ..... 77

4/ أقسام الأمثال الواقعة في القرآن الكريم ..... 78

5/ مقاصد ضرب الأمثال القرآنية ..... 78

أ/ مقصد للتفكير والتدبر ..... 81

82..... ب/تقريب صورة المثل المضروب إلى العقول

82..... ج/الدلالة على قيمة المثل المضروب به

83..... د/تبكيت الخصوم

#### 84 \*\*\*\*\* المحاضرة الثامنة: القسم في القرآن الكريم \*\*\*\*\*

84..... 1/ تعريف القسم

85..... 2/ وجود القسم في القرآن الكريم

86..... 3/ قسم الله في القرآن الكريم

89..... 4/ أركان القسم وصيغته

89..... 5/ أنواع القسم

90..... 6/ فائدة وأغراض القسم في القرآن الكريم

#### 91 \*\*\*\*\* المحاضرة التاسعة: شكل المصحف وإعجابه ورسمه \*\*\*\*\*

91..... 1/ المصحف ودواعي إعجابه

92..... 2/ شكل المصحف ونقطه بين الترخيص والكراهة

93..... 3/ شكل المصحف ونقطه وتطوره عبر العصور

94..... ❖ رسم المصحف

95..... 1/ القاعدة العربية في الكتابة

---

96..... /2 قواعد رسم الصحف

101..... ❖❖ خاتمة

104..... ❖❖ فهرس الأحاديث

106..... ❖❖ فهرس المصادر والمراجع

.115..... ❖❖ فهرس المحتويات



**Ministry of Education and Scientific Research**



***Ammar Theliji University of Laghouat***

***Faculty of Humanities, Islamic Sciences and Civilization***

***Department of Islamic Sciences***



**Branch: The Arabic Language and Islamic Civilization**

**Preparation Of Dr: AICHOUBA MOHAMED**

**Undergraduate year: 2021-2022**